

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة - بالمدينة النبوية

قسم الدعوة والإحتساب



الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم

دراسة استقرائية لمظاهره

وأساببه وأهميته للدعوة

البحث المكمل لنيل درجة (الماجستير)

إعداد

الباحث : محمد بن رزيق

إشراف

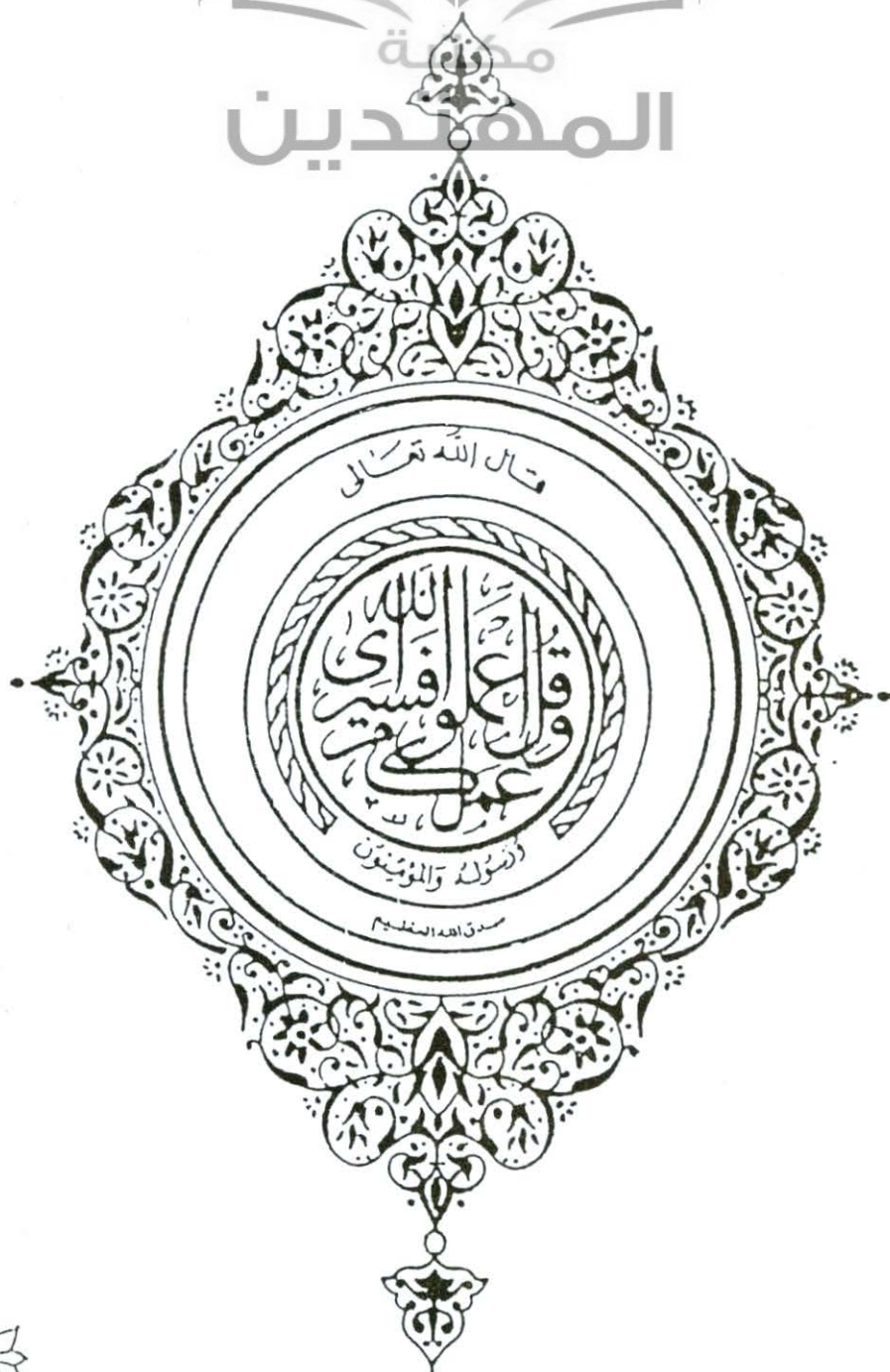
فضيلة الدكتور : عبدالله بن ضيف الله الرحيلي

١٤١٤ هـ



50100007568







إلى من رباني صغيراً ، وعلمني كبيراً

فكان نعم المربي ، ونعم المعلم .
إلى من أوجب الله عليّ طاعته وبرّه .

إلى من تزلعت نفسي من فيض حنانه
وارتوت روحي من صدق إيمانه

إليك يا أبي
أهدي هذا الجهد المتواضع
طاعة وعرفانا

سائلاً المولى عز وجل أن يمن عليك
بالعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .



ابن عمر

﴿ شكر وتقدير ﴾

يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة

في كلية " الدعوة " التي أتاحت لي الفرصة لمواصلة دراستي العليا بين

جنباتها . وأخص بالشكر القائمين عليها من مسئولين وأساتذة أجلاء فضلاء

شرقت بالجلوس بين يديهم متلقياً للعلم وناهلاً من معارفه .

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير لفضيلة المشرف على هذا البحث الذي منحني

من وقته وجهده الشيء الكثير ، وأحاطني بتوجيهاته ، وأكرمني برعايته .

وأشكر جميع من ساهم في إخراج البحث بهذه الصورة .

وأسأل الله العلي القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء إنه ولي ذلك والقادر عليه .

البحر

المقدمة

وتشمل:

- أهمية الموضوع وسبب اختياره .
- تحديد مشكلة البحث وحدود الدراسة .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

في الأوراق التالية سيتحدث الباحث عن الخطة التي سيتبعها في كتابة بحثه الذي عنوانه :-

﴿ الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم دراسة إستقرائية لمظاهره وأسبابه وأهميته للدعوة ﴾ .

إن المتحدث عن القرآن الكريم كمن يصف الشمس في رابعة النهار وحال من يمدح القرآن أو يثني عليه

كحال ﴿ الأعرابي الذي كان يسير في الليل ، وعندما ظهر عليه القمر أحس بالأمان والاطمئنان ، قال : ماذا

أقول لك ؟ أقول : رفعك الله وقد رفعك ، أم أقول : نورك الله وقد نورك ، أم أقول : جملك الله وقد جملك ﴾^(١) .

فالقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنزل على رسوله محمد ﷺ عن طريق الوحي لفظاً ومعنى ، المتعبد

بتلاوته الذي وعد الله بحفظه إلى أن تقوم الساعة ، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾^(٢) . وكفى

بالبحث شرفاً أنه يتصل بكتاب الله عز وجل القرآن العظيم .

وقد كثرت الدراسات حول القرآن الكريم ، من جميع النواحي ، وخاض الكثير في أنواع شتى من الدراسات

القرآنية .

وهذا البحث سيكون من الدراسات التي تطرقت للقرآن الكريم ولكنه سيختلف عن هذه الدراسات من عدة أوجه .

سيدرس البحث أمراً لمس في القرآن الكريم - بل لعله لاحظته الكثير - ولكنه إلى الآن لم يبرز بالطريقة التي

يمكن أن تخدم الدعوة الإسلامية والدعاة في وقتنا الحاضر ، ألا وهو ظاهرة تأثير القرآن الكريم في القارئ والسامع

١- الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب : إعجاز القرآن ، ص ٢٨٨ ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

تحقيق عماد الدين أحمد بن حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

٢- سورة الحجر : آية (٩) .

كما أن البحث سوف يعنى بالجانب التطبيقي الذي لم تعن به بعض الدراسات القرآنية السابقة ، كما سيتبين في موضعه إن شاء الله تعالى .

كما أن البحث سيعنى بربط الدراسة التطبيقية بالجانب الدعوي ، أو لنقل إن البحث سوف يطرق هذا الموضوع من الوجهة الدعوية .

فالجانب التطبيقي المقصود به استقراء الآيات التي يمكن الاستفادة منها في هذا الجانب وحصرها ثم الرجوع إلى معانيها عند السلف - رحمهم الله - واستنباط الفوائد والدروس والعبر منها فيما يفيد موضوع البحث .

والجانب التطبيقي هو نظرات تأمل وتفكر في عدد من آيات القرآن الكريم - بخاصة التي لها ارتباط بموضوع البحث - ثم محاولة التوصل لمعرفة السبب المؤدي إلى تأثيرها في النفوس عن طريق فهم معانيها ، وعن طريق ربطها بما استجد في هذا العصر ، إلى غير ذلك من الطرق التي سيمتبعها الباحث في بحثه .

أسأل الله العلي القدير الإعانة والتوفيق على إنجاز هذا البحث بالصورة التي ترضى عنه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه



أهمية الموضوع وسبب اختياره

موضوع التأثير في القرآن الكريم بدأ مع نزول القرآن الكريم إلى الأرض على قلب الرسول ص عن طريق الوحي ، وأصبح قرآناً يتلى بين الناس ، عندها قال الكافرون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، بل زاد خوفهم من تأثير القرآن هذا ، حتى إنهم ليفرون منه قال تعالى ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعذبوا وما يزيدهم إلا نفورا ﴾^(١) وعلى العكس من هذا الخوف ، من تأثير القرآن نجد من يتأثر به إلى درجة كبيرة .

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾ كاد قلبي يطير ، رواه البخاري .^(٢) وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود هذا التأثير فيه ، حيث يقول الله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾^(٣) وفي هذا العصر الذي كثرت فيه الأمور التي تصرف المسلم عن الالتفات لكتاب الله عز وجل . كما أن بعض الدعاة لم يفتنوا لذلك ، ولم يستخدموه في أساليب دعوتهم إلى الله عز وجل . وهذا الموضوع أمر مهم في القرآن الكريم ، وضيقة ملازمة له ، بل لقد عدها العلماء السابقون من الإعجاز ، فهذا الخطابي - في رسالته البيان في إعجاز القرآن يقول : قلت في إعجاز القرآن وجهاً^(٤) آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فأنت لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص منه إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور^(٥) .

وتزداد أهمية الموضوع في هذا العصر لما نشاهده من كثرة الدعايات للأديان المحرفة والمذاهب الباطلة بأساليب جذابة مؤثرة في نفوس الذين لا يعلمون الحق ، في حين أن القرآن الكريم قد احتوى على أساليب وأنواع كثيرة من الطرق التي يمكن أن تؤثر في السامع والتي أدرك بعضها كفار قريش - فلماذا لا تظهر هذه الأساليب وهذه المظاهر الموجودة في القرآن الكريم ، والتي تدل دلالة على تأثير القرآن في سامعية حتى يستخدمها الدعاة .

١ - سورة الإسراء : آية رقم (٤١) . ٢ - ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٨ / ٦٠٣ ، دار المعرفة ، بيروت .

٣ - سورة الأنفال : الآية رقم (٢) . ٤ - ورد في الحاشية أنها جاءت في إحدى النسخ التي اعتمد عليها المحقق وجه .

٥ - الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ، د . محمد زغلل سلام ، ص ٧٠ ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، مصر .

أما عن سبب اختياري للكتابة في هذا الموضوع

- ١- كونه يتعلق بكتاب الله عز وجل والعلم يسمو بسمو المعلوم .
- ٢- إن المسلم مطلوب منه شرعاً أن يتدبر كلام الله .
- ٣- إن الداعية إلى الله عز وجل عماده وأساسه في دعوته كتاب الله عز وجل ، ولا شك في أن البحث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتخصص الدعوة .
- ٤- عدم الكتابة في هذا الموضوع بالصفة الموضحة في الخطة .
- ٥- قناعة الباحث بأهمية الكتابة في هذا الموضوع .
- ٦- وجود صلة بين هذا البحث وبين دراسة الباحث الجامعية .

تحديد المشكلة وحدود الدراسة

يمكن للباحث تحديد المشكلة من خلال الأسئلة التالية :-

أولاً : البحث سيجيب عن التساؤل العام وهو : ما المقصود بالإعجاز التأثيري في

القران الكريم وما مدى وجوده في القرآن ؟

وذلك من خلال الأسئلة الخاصة التالية :-

- ١- هل الإعجاز التأثيري له مظاهر ؟
 - ٢- وما مظاهره في القرآن الكريم ؟
 - ٣- هل يمكن تطبيق ذلك على أمثلة تطبيقية ؟
 - ٤- ما أسباب الإعجاز التأثيري في القرآن ؟
 - ٥- ما الهدايات القرآنية لكل مظهر من مظاهره ؟
 - ٦- ما أهمية الإعجاز التأثيري وكيف يمكن إبرازه للدعاة ؟
 - ٧- هل يمكن الاستفادة منه ؟
- ثانياً : سوف يقتصر الباحث على بعض أنواع مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم وهي :
- ١- الإعجاز البياني . ٢- الإعجاز العلمي . ٣- الإعجاز التشريعي .
- وذلك رغبة في عدم تشعب الموضوع أكثر مما ينبغي .

منهج البحث

- ١- سيعتمد الباحث في بحثه على كتاب الله عز وجل ﴿ القرآن الكريم ﴾ استقراء واستنباطاً بحصر الآيات التي يحتاج إليها في بحثه ، ويعزوها إلى سورها في القرآن الكريم .
- ٢- سيعتمد الباحث على الأحاديث الصحيحة من مصادرها الأصلية ولن يذكر الباحث إلا حديثاً مقبولاً في الاحتجاج ، وإن أورد حديثاً ضعيفاً سيبين ضعفه في مكانه إن شاء الله .
- ٣- سيقوم الباحث باستعراض كتب اللغة التي لها علاقة وثيقة بموضوع البحث أو يمكن الاستفادة منها في مجال البحث .
- ٤- سيلتزم الباحث في فهم الآيات بمنهج السلف الصالح رحمهم الله في أصل منهجهم أما الآراء في داخل إطار هذا المنهج سوف لا يلتزم بها إلا بقدر ما يوصله إليه البحث والنظر ، لأن البشر يخطئون ويصيبون .
- ٥- سيعنى الباحث بالإفادة من معطيات العلوم الحديثة في مجال البحث في حدود منهج السلف في فهم القرآن .
- ٦- يلتزم الباحث بإجراء أمثلة تطبيقية على ما يتوصل إليه من نتائج نظرية وذلك بتطبيقها على عدد من الآيات يختارها للدراسة .

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث على دراسة حديثة تطرقت للموضوع بالصفة التي تم ايضاحها سابقاً .
وقد وجد الباحث دراسة واحدة حديثة تطرقت لجزء من موضوعات البحث وهو الإعجاز البياني وسيتحدث عنها الباحث في مكانها .

أما الدراسات السابقة التي تعرضت للموضوع بنفس الطريقة التي أشير لها سابقاً فلا توجد ، وإنما توجد دراسات تعرضت لأجزاء من موضوع البحث ، يمكن تقسيمها إلى دراسات قديمة ، ودراسات حديثة .
أولاً : الدراسات القديمة :

١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض : ت ٥٥ هـ :

فلقد تحدث في الفصل الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، والثامن ، والتاسع ، من الباب الرابع ، عن إعجاز القرآن ، ورأى أن إعجازه يقوم على أربع دعائم :
أولها : حسن تأليفه ، والتتام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب .
ثانيها : صورة نظمه العجيب ، وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومناهج نظمها ، ونشرها الذي جاء عليها ، ووقف مقاطع آيه ، وانتهاء فواصل كلماته إليه .
ثالثها : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، ومالم يكن ولم يقع ، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر رابعهما : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب ، فيورده النبي ﷺ على وجهه ويأتي به على نصه ، مع أنه لم ينله بتعليم ، وأنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بدراسة ولا مشافهة (١) .

وتناوله للأعجاز تناول عام ، والأربع الدعائم التي ذكرها للإعجاز يمكن إيجازها في دعامين هما :

١- الإعجاز البياني في القرآن .

٢- الإعجاز الغيبي بذكر ماضى وما سيكون .

فهو لم يذكر هذا النوع من الإعجاز وهو الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم ، كما أنه لم يذكر الأسباب التي أدت إلى الإعجاز سواء ماترقت إليه من دعائم الإعجاز أو موضوع البحث .

١ - انظر : القاري ، الملا علي : شرح الشفا ٥٤٢/١ - ٥٧٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢- النكت في إعجاز القرآن : لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى^(١)

فقد بحث في إعجاز القرآن البلاغي ، وقد حدد المؤلف هدفه في مقدمة الكتاب حين تدرج من قضية الإعجاز عامة إلى الإعجاز البلاغي ، وتناول هذه الناحية ووضعها في أعلى مراتب البلاغة ، ووصف بلاغة القرآن في هذه الدرجة بأنها معجزة ، لأنها بلغت أقصى ما يمكن أن يصله التعبير باللسان العربي ، فبلاغة البلغاء مهما بلغت ممكنة ، لكن بلاغة القرآن معجزة وليست في مقدور أحد ، ويقول : إن وجوه الإعجاز في القرآن تظهر من سبع جهات :-

١- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة .

٢- التحدث للكافة .

٣- الصرفة^(٢) .

٤- البلاغة .

٥- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية .

٦- نقض العادة .

٧- قياسه بكل معجزة^(٣) .

وكما يتضح من ذلك أن الكاتب ركز على الإعجاز البلاغي في كتابه ولم يتطرق لموضوع التأثير في القرآن ، ولكن الباحث سيفيد منه في مجال الإعجاز البلاغي ، كما أنه لم يتحدث عن أسباب الإعجاز في القرآن بالتفصيل وإنما أشار إليها إشارات فقط .

٣- البيان في إعجاز القرآن : أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي^(٤)

يقرر الخطابي أن الناس قديماً وحديثاً ذهبوا في الموضوع كل مذهب من القول ، ولم يصدروا عن ري ، ويناقش فكرة الصرفة ، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلية ، ولا يرتضيها شرحاً لأسرار الإعجاز .

١- الرمانى : أبو الحسن علي بن عيسى : النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز .

تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر .

٢- للرافعي تعليق جيد في الرد على القائلين بأن الصرفة من وجوه الإعجاز ، انظر في إعجاز القرآن ، والبلاغة النبوية : لمصطفى صادق الرافعي .

٣- المرجع السابق ، ص (٧٥) .

٤- أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي : البيان في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول ، ص (٧٠) ، دار المعارف ، مصر .

ويقول : (إنما صار القرآن معجزاً لأنه جاد بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني من توحيد وتحليل وتحريم ..) الخ . (. .) ومعلوم أن الأتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشدّها ، حتى تنتظم وتتسق ، أمر تعجز عنه قوى البشر)^(١) وقد أثبت في آخر رسالته وجهاً آخر للإعجاز ذهب عنه الناس ، وذلك صنيع القرآن بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، وقد سبقت الإشارة إلى قوله في بداية هذه المقدمة ، ولكن الملاحظ أنه لم يوضح الإعجاز الذي أشار إليه في رسالته وهو صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس ، وإنما اكتفى فقط بالإشارة إليه وتحدث عن بعض أنواع إعجاز القرآن كإخباره عن المغيبات .

٤- إعجاز القرآن : لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني^(١)

وقد تحدث عن وجوه الإعجاز القرآني ويرى أنها ثلاثة أوجه :

أ - إخباره بالغيب .

ب - أن هذا الغيب من آدم إلى حين نزوله ، قد نزل على رجل أُمّي لا يعرف القراءة والكتابة .

ج - بديع نظمه ، وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة .

وخلاصة ماذهب إليه الباقلاني ، أنه لم يزد على ماذهب إليه الجاحظ من نظرية نظم القرآن ، وما ذهب إليه الرماني من بلاغة القرآن الرفيعة ، وكان هو أول من هاجم نظرية إعجاز القرآن عن تصوير ما فيه من بديع أو بيان^(٢) .

وبذلك لم يبعد الباقلاني عن سابقيه وهو أنه أرجع الإعجاز القرآني إلى بلاغته .

وكذلك كانت الدراسات السابقة للقرآن ، فكل ما حاولوا الوصول إليه هو إثبات أن القرآن معجز وأن الله عز وجل تحدّى به العرب قاطبة .

٢- المرجع السابق ص (٧٠) .

١- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م - ص ٥٧ - ٥٩ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

٢- المرجع السابق ص ٥٧ - ٥٩ .

ثانياً: الدراسات الحديثة :

١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : لمصطفى صادق الرافعي :

- يذهب الرافعي إلى أن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه .
ويحدد الرافعي جهات الإعجاز فيقول : [إنما هي صفات من نظم القرآن الكريم وطريقة تركيبه] .
وقسم الرافعي النظم إلى الحروف والكلمات والجمل :
أ - الحروف : وتعود قيمتها الفنية إلى ما تدل عليه من صوت .
ب - الكلمات وحروفها :

١- دلالة الكلمة الموضعية سماه (صوت النفس) .

٢- الدلالة العقلية للكلمات سماه (صوت العقل) .

٣- تفاوت الجمل في دقة التصوير سماه (صوت الحس) .

ج - الجمل وكلماتها : يرى أن الإعجاز فيها يعود إلى التنسيق الموجود بينها وأن أسلوب القرآن الكريم قد بلغ في هذا التنسيق حد الإعجاز^(١) .

فالرافعي رحمه الله هذا حذو من كان قبله في عدّه إعجاز القرآن الكريم يعود إلى نظمه - ولا شك في ذلك - وقد أشار إشارات إلى تأثير القرآن في النفوس ، ولم يوضح لنا المظاهر التي اعتمد عليها هذا التأثير ، وما أسباب وجود التأثير في القرآن كما أنه لم يتطرق لذلك من النواحي الدعوية .

٢- النبأ العظيم : د . محمد عبدالله دراز^(٢) :

ألف الكتاب سنة ١٩٣٣م .

ذكر فيه ثلاثة أوجه من الإعجاز :

١- الإعجاز اللغوي .

٢- الإعجاز العلمي .

٣- الإعجاز التشريعي .

وقد فصل في الوجه الأول ، لأنه هو الذي وقع من جهة التحدي بالقرآن . ويتجلى ذلك في ناحيتين :

الأولى : الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته ومداته وغماته .

١- انظر الرافعي : مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية : الطبعة التاسعة ،

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ص ١٥٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢- د . محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن الكريم ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م ، دار القلم ، الكويت .

الثانيه : الجمال التنسيقي في رصف الحروف وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة .

ثم تحدث عن الجانب المعنوي وجماله ويسمى اللب الداخلي للصدفة الجميلة وهذه الناحية هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها ، وهي أعظم الناحيتين أثراً في الإعجاز اللغوي ، إذ اللغات تتفاضل من حيث هي بيان ، أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام^(٢) .

وهذا الدراسة في نظر الباحث أقرب الدراسات إلى موضوع البحث حيث تضمنت نظرات إلى القرآن الكريم توصل الباحث من خلالها الى أن الإعجاز اللغوي كان معتمداً على ناحيتين وفصلهما كما ذكر أعلاه ، ثم ذكر بأنه يوجد رابط بين الجانب المعنوي والإعجاز اللغوي ، فالجانب المعنوي له أكثر الأثر في الإعجاز اللغوي ، ولكنه لم يتحدث عن الرابط بين الإعجاز العلمي في القرآن وتأثيره في النفوس ، وكذلك الإعجاز التشريعي وما هي أسباب التأثير في القرآن .

٣- سيد قطب ورأيه في الإعجاز :

يقسم سيد قطب مراحل تذوق الجمال القرآني إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة التذوق الفطري^(١) :

فالعرب الذين تلقوا القرآن الكريم ، تذوقوا بحاستهم الفنية جماله الفني الساحر وأحسوا تأثيره المباشر على قلوبهم ، وتحسسوا سلطانه العجيب على نفوسهم ، والكافرون منهم الذين شنوا ضده حرباً دعائية ضخمة ، وقالوا عنه : إنه سحر ، لكنهم اعترفوا بالعجز البالغ عن معارضته ، وأدركوا إعجازه البياني الرفيع ، وتذوقوا جماله الفني ، وتحسسوه شبه مسحورين .

المرحلة الثانية : مرحلة إدراك مواضع الجمال المتفرقة^(٢) :

وتبدأ هذه المرحلة في منتصف القرن الثاني للهجرة عندما أقبل العلماء على القرآن الكريم من مفسرين وأدباء ومتكلمين .

وهذا العنوان في نظر الباحث يحتاج إلى نظر إذ أنه يوحي للقارئ بأن مرحلة إدراك مواضع الجمال المتفرقة في القرآن جاءت في منتصف القرن الثاني الهجري ، وهذا يعني أن العرب الذين تلقوا القرآن لم يدركوا مواضع الجمال المتفرقة ولم يحسوا بها ، بل لقد أدركوها وفهموها ولكنها بهرتهم وشغلتهم فلم يعبروا عنها ولم يكتبوا عنها شيئاً .

(٢) - المرجع السابق : ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(١) - سيد قطب : التصوير الفني في القرآن الكريم : ص ٢٢-٢٣ - دار الشروق .

(٢) - المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٣٥ .

المرحلة الثالثة : مرحلة إدراك الخصائص العامة :

وهي المرحلة التي جاءت متأخرة ، ولم تتم الا في العصر الحديث ، حيث بدأت الكتابة في الخصائص العامة للجمال الفني في القرآن ، باكتشاف القاعدة العامة والطريقة الموحدة في التعبير ^(١) .
ويقول كذلك : إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض - فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال - فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز ^(٢) .

ومن الأمثلة على نظريته في التصوير الفني :

قوله تعالى : ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ ﴾ ^(٣) .
فهي مخلوقة حية لها صفات الأحياء من البشر فهذه تكظم غيظها ، فتكاد تميز من الغيظ ، وتتمزق منه فترتفع أنفاسها من كظمها له فتفور ويسمع السامعون لها شهيقاً مرعباً فظيعاً ^(٤) .
إن سيد قطب رحمه الله من خلال ماكتب في كتبه : - ظلال القرآن ، التصوير الفني في القرآن ، مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم ، والتي استشف منها رأيه في إعجاز القرآن كلها توضح أن التصوير الفني في القرآن الكريم هو مدار التأثير ومدار الإعجاز ، وفي نظر الباحث أن التصوير الفني ليس وحده سبب الإعجاز في القرآن الكريم ، بل إن هناك عدة عوامل وجدت في القرآن جعلته معجزاً وهي بجموعها أدت إلي إعجاز آخر أشمل هو الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم وإن كان كل من تلك الجوانب معجز بذاته .

٢- مناهل العرفان : عبدالعظيم الزرقاني ^(٥) :

يرى أن الإعجاز في ألفاظ القرآن فيقول : ﴿ إن الإعجاز منوط بألفاظ القرآن ، فلو أبيض أداؤه بالمعنى لذهب إعجازه ، وكان مظنة للتغيير والتبديل واختلاف الناس في أصل التشريع والتنزيل ﴾ ^(٦) .

١- المرجع السابق : ص ٣٠ .

٢- المرجع السابق : ص ٨ .

٣- سورة الملك : آية رقم (٧ - ٨)

٤- سيد قطب : في ظلال القرآن : ٣٦٣٤/٦ (باختصار)

٥- عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن : دار احياء الكتب العلمية ، حلب .

٦- المرجع السابق : ٥١ / ١ .

كما يرى أن الإعجاز في دقة السبك وقوة الإتصال ، والترابط مع الاتساق بين أجزاء وأسلوب الكتاب العظيم^(١) .

ومن أوجه الإعجاز التي ذكرها تأثير القرآن ونجاحه^(٢) يقول : ﴿ إن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغاً خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله والناس ، وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام ﴾^(٣) .

ويقول في ذلك أيضاً ﴿ هذا التأثير الخارق أو النجاح الباهر الذي نتحدث فيه أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وامعان ونصفه حاذقاً لأساليبه العربية ملماً بظروفه وأسباب نزوله ﴾^(٤) . ثم يتحدث بعد ذلك عن تأثير القرآن في أعدائه ويستشهد بصناديد قريش ، وعن تأثيره في أوليائه فيستشهد بالسابقين من المؤمنين في عهد الرسول ﷺ كعمر بن الخطاب رضي الله عنه . إن الزرقاني وإن أشار في كتابه عن تأثير القرآن الكريم إلا أنه لم يوضح للمقارئ أسباب هذا التأثير إلى ماذا يعود ؟ وما هي مظاهر هذا التأثير ، وإنما كان الموضوع عبارة عن إشارات لتأثير القرآن في السامعين .

٥ - أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني : عمر محمد عمر باحاذق :

رسالة دكتوراه قدمت لشعبة الآداب والنقد بالجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م لم تطبع بعد ، فلقد تحدث الباحث فيها عن الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، وقد تناول هذا الجانب من الأمور التالية :

١- الصور البيانية في القرآن [التشبيه ، الاستعارة ، الكناية] .

٢- القصة .

٣- الأمثال .

٤- الجدل .

٥- القسم .

١- المرجع السابق : ٥٦/١ - ٥٧ .

٢- المرجع السابق : ٣٠١ / ٢ .

٣- المرجع السابق : ٣٠١ / ٢ .

٤- المرجع السابق : ٣٠٣ / ٢ .

وتحدث كذلك عن الهداية والتوجيه في القرآن الكريم ، وذلك من خلال الموضوعات التالية : -

١- عنصر الزمان في توجيهات القرآن الكريم .

٢- عنصر المكان في الهداية والتوجيه :

وقد أشار في مقدمة هذا الفصل إلى تأثير القرآن حيث قال : ﴿ إن القرآن الكريم المعجز ببيانه وبلاغته وقوة تأثيره في النفوس والقلوب ليزرّ الجمال الفني المحض في تضاعيفه حتى ليستملي الإنسان هذا الجمال مستقلاً بجوهره ﴾ .

٣- الجانب الأخلاقي في أسلوب القرآن الكريم :

وهذا البحث سوف يفيد الباحث منه في جزء من موضوعات البحث ، لكنه لم يتحدث عن التأثير في القرآن وإنما أشار إليه في موضوع هداية القرآن وتوجيهه وهكذا لعله يتضح من خلال عرض هذه الدراسات أن الموضوع فيه مجال للكتابة عنه وإبرازه بالصورة التي تحددها هذه الخطوة .



﴿ قائمة موضوعات البحث ^(١) ﴾

أولاً : المقدمة ، وتشمل :

- أهمية الموضوع وسبب اختياره .
- تحديد مشكلة البحث وحدود الدراسة .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .

الفصل الأول : الإعجاز التأثيري ومظا هره في القرآن الكريم :

- المبحث الأول : تعريف المعجزة (في اللغة ، في الاصطلاح) والعلاقة بين الإعجاز والتأثير في النفوس .
- المبحث الثاني : تعريف الإعجاز التأثيري .
- المبحث الثالث : النصوص الدالة على تأثير القرآن الكريم في النفوس من (الكتاب ، السنة) .
- المبحث الرابع : مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن .

الفصل الثاني : الإعجاز البياني في القرآن الكريم :

- المبحث الأول : التصوير الفني .
- المبحث الثاني : القصص القرآني .
- المبحث الثالث : التشبيه (ومدى تأثيره في السامعين) .
- المبحث الرابع : الجدل في القرآن الكريم .
- المبحث الخامس : الترغيب والترهيب .
- المبحث السادس : العبرة والعظة (فيما حدث للمسلمين من أحداث في عهد الرسول ﷺ) .
- المبحث السابع : أمثلة تطبيقية لكل ماسبق ودراسة كيفية تأثيرها في السامعين من خلال عدد من الآيات .

١- المقصود كل مايتعلق بالتأثير فقط .

الفصل الثالث : الإعجاز التشريعي :

- المبحث الأول : في العقيدة .
- المبحث الثاني : في الشريعة .
- المبحث الثالث : في الأخلاق .
- المبحث الرابع : أمثلة تطبيقية لكل ماسبق على عدد من الآيات .

الفصل الرابع : الإعجاز العلمي :

- المبحث الأول : في خلق الإنسان .
- المبحث الثاني : في بدء الكون ، ثم سעתه ، ثم مصيره .
- المبحث الثالث : في البحار .
- المبحث الرابع : في الحيوان .
- المبحث الخامس : أمثلة تطبيقية لكل ماسبق على عدد من الآيات .

الفصل الخامس : أسباب الإعجاز التأثيري في القرآن :

- المبحث الأول : أسباب تعود إلى القرآن .
- المبحث الثاني : أسباب تعود إلى القارئ والمستمع .
- المبحث الثالث : أسباب عدم استجابة بعض المدعويين (أصنافهم ، مظاهر صدورهم) .

الفصل السادس : أهمية الإعجاز التأثيري للدعوة :

- المبحث الأول : أهمية الإعجاز التأثيري للدعوة .
- المبحث الثاني : كيفية الاستفادة منه .

الخاتمة : وتتضمن النتائج ، والتوصيات .

الفهارس : وتشمل :

- ١- فهرس الآيات .
- ٢- فهرس الأحاديث .
- ٣- فهرس الأععلام .
- ٤- فهرس المصادر والمراجع .
- ٥- فهرس الموضوعات .

الفصل الأول :

الإعجاز التأثري ومظاهره في القرآن الكريم

ويشمل :

- المبحث الأول : تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح .
والعلاقة بين الإعجاز والتأثير في النفوس .
- المبحث الثاني : تعريف الإعجاز التأثري .
- المبحث الثالث : النصوص من الكتاب والسنة الدالة على
تأثير القرآن الكريم في النفوس .
- المبحث الرابع : مظاهر الإعجاز التأثري .

المبحث الأول :

١- تعريف المعجزة .

في اللغة :- هي من أعجز وأعجز وهو ما يقابل القدرة ، والهاء فيه للمبالغة والعجز نقيض الحزم ، والعجز : الضعف .

ويقال " عجز عن الأمر : إذا قصر عنه " . أعجزني فلان أي فاتني .

وقال الليث ، " أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه " .

وفي القرآن نجد قوله تعالى ﴿ والذين سعوا في آياتنا معاجزين ﴾ (١) .

قال الزجاج : " معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لاجنة ولا نار " .

وقيل معناه معاندين وهو راجع الى الأول . (٢)

وفي المعجم الوسيط : عجز عن الشيء : ضعف ولم يقدر عليه . (٣)

فالمعاني اللغوية السابقة تفيد القصور والفوت والسبق .

في الاصطلاح :-

أما المعجزة في الاصطلاح فقد عرفها كثيرون نذكر منهم علي سبيل الإجمال لا على سبيل

الحصر :-

١- الباقلاني (٤) .

٢- عبد القاهر الجرجاني (٥) .

(١) - سورة سبأ آية ٥ (٢) - ابن منظور - لسان العرب - مادة عجز .

(٣) - المعجم الوسيط - إبراهيم أنيس وآخرين . (٤) - في كتابة إعجاز القرآن - مرجع سابق .

(٥) - الرسالة الشافية في الإعجاز - ضمن ثلاث رسائل - مرجع سابق .

٣- ابن خلدون . (١)

٤- السيوطي . (٢)

٥- الرافي . (٣)

٦- الزرقاني . (٤)

ولا داعي لذكر جميع تعريفاتهم ، ولكن التعريف الذي يمكن التوصل إليه للمعجزة أنها : -
" أمر أجراه الله على يد النبي خرق به قوانين الطبيعة وخواص المواد - تحدى به النبي الناس
فلا أحد يستطيع معارضته " (٥) .

أنواع المعجزات :-

والمعجزات إما حسية أو عقلية ، وقد خص الله تعالى أمة محمد ﷺ بالمعجزة العقلية ، فهي معجزة باقية أبد
الدهر - ولكي يبصرها ذوي البصائر في كل زمان ومكان ، فالعقل البشري واحد حيثما كان ، والبيئة والتربية
تكيفان وتمنجان - والرسول ﷺ يشهد على ذلك بقوله « ما من نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان
الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » (٦) . متفق عليه .

(١) - في كتابه المقدمة ص (٩٣) - الطبعة الرابعة ١٩٨١م - دار القلم بيروت - لبنان .

(٢) - الإتقان في علوم القرآن ص (١١٦) . عالم الكتاب - بيروت .

(٣) - في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص (١٢٩) . - مرجع سابق .

(٤) - في كتابه مناهل العرفان ص (٦٦/١) .

(٥) - انظر السيوطي - الإتقان - ٢/٤ - حيث تعريفاتهم قريبة من التعريف أعلاه .

انظر الزرقاني - مناهل العرفان - ٦٦/١ .

(٦) - انظر صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل .

- انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته .

والمعجزة العقلية تحار فيها العقول وتتسابق فيها الأقلام وتختلف فيها الآراء شأن إعجاز القرآن الكريم .

وأما شروط المعجزة فهي^(١):-

- ١- أن تكون من الأمور الخارقة للعادة، سواء كان هذا الخارق قولاً أو عملاً.
 - ٢- أن يكون الخارق من صنع الله عزوجل وإنجازه ، قال تعالى ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾^(٢) .
 - ٣- سلامتها من المعارضة : فالناس المرسل لهم النبي الذي معه المعجزة لا يستطيع أحد منهم أن يعارضه في معجزته ، بأن يأتي بمثلاً مع اعترافهم بعدم القدرة ، وليس كما يقول به البعض أن يصرف عن محاولة الإتيان بمثلاً .
 - ٤- أن تقع على مقتضى قول من يدعيها :- من يدعي حصول المعجزة له هو النبي ، فلو كان دعياً ، وليس نبياً فإن المعجزة التي يدعي حصولها له لا تأتيه كما يقول ، وبالتالي يتضح كذبه ومحال على الله أن يكذب رسله .
 - ٥- التحدي بها :- أن يقع التحدي أي تكون تلك المعجزة تحدياً للقوم المرسل إليهم النبي ولا يستطيعون الاتيان بمثلاً .
 - ٦- العلاقة بين الإعجاز والتأثير في النفوس :-
- الإعجاز القرآني ﴿ بمعناه العام ﴾ المقصود به قصور القدرة البشرية عن محاكاة القرآن الكريم أو الإتيان بمثله^(٣) .

(١) - انظر مصطفى مسلم - مباحث في إعجاز القرآن - ص(١٤) . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - دار المنارة - جدة .

- انظر حسن ضياء الدين - المعجزة الخالدة - ص(٢١) - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - مكتبة الطالب - مكة المكرمة .

(٢) - سورة غافر : ٧٨ .

فالقُرآن الكريم معجزة الله عزوجل أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً .

وتحدى الله عزوجل العرب بل الناس كلهم أن يأتوا بمثله أو أن يأتوا بعشر سور مثله أو أن يأتوا بسورة من مثله .

واقراً إن شئت قولة تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ .^(١)

وقوله تعالى ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ .^(٢)

وقوله تعالى ﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ .^(٣)

وقوله تعالى :- ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ .^(٤)

وقد وصف الله عزوجل القرآن الكريم بأن له تأثيراً عجيباً عند قراءته أو سماعه لمن يفهم معانيه ، قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ .^(٥)

(١) - سورة الإسراء آية - ٨٨

(٢) - سورة هود آية - ١٣

(٣) - سورة يونس آية - ٢٨

(٤) - سورة البقرة آية - ٢٣

(٥) - سورة الزمر آية - ٢٣

وله أثر على من تدبره وتفهم آياته وفهم معانيها لمن لم يفهما لأول وهلة كذلك هذا التأثير قد أضاف لإعجاز القرآن وتحديه للعالمين إعجازاً آخر غير إعجاز التحدي أن يأتوا بمثله هو تأثيره في النفوس بل المخلوقات الأخرى حيوانها وجمادها .

سواء كان التأثير تأثيراً مباشراً تلقائياً ، أو ما يقال له انطباع ذاتي تلقائي مباشر ، أو كان تأثيراً بصورة غير مباشرة أي يكون بعد التدبر والتأمل وفهم المعنى .

وقد أشار إلى ذلك سيد قطب - رحمه الله - حيث قال : " إن في هذا القرآن سرّاً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيه ، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات القرآن ، يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الإستماع لهذا القرآن ، يدركه بعض الناس واضحاً ، ويدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود ، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس ، يصعب تحديد مصدره أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيه ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهى هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود ! ذلك سرّ مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً ، ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبير والنظر والتفكير في بناء القرآن كله (١) ،،،

(١) - سيد قطب - في ظلال القرآن - ٢٢٩٩/٦ -

هذا وقد عدّ كثير من العلماء التأثير في القرآن الكريم علي أنه وجه من وجوه^(١) الإعجاز في القرآن الكريم .

فالعلاقة بين الإعجاز والتأثير في القرآن الكريم هي علاقه الجزء بالكل ، فالقرآن الكريم كلة معجز وأوجه الإعجاز فيه كثيرة أحد هذا الوجوه هو التأثير الذي يتسم به القرآن الكريم كله .

* * *

(١) - أنظر على سبيل المثال :-

- السيوطي - معترك الأقران : ١٨٢/١ حيث تحدث عن ذلك تحت عنوان روعة وهبيّة .
- الزرقاني - مناهل العرفان : ٣٠١/٢ حيث تحدث عنه تحت عنوان تأثير القرآن .
- الخطابي - في رسالة بيان إعجاز القرآن - مرجع سابق - وقد سبقت الإشارة الى ماكتبه في مقدمة المبحث .

المبحث الثاني :-

" تعريف الإعجاز التأثيري "

لم يجد الباحث تعريفاً للإعجاز التأثيري في أي كتاب من الكتب التي تحدثت عن الإعجاز القرآني أو الدراسات القرآنية بيد أن أغلب تلك الكتب قد أشارت إلى تأثير القرآن الكريم وحاول البعض منهم شرح ذلك .

ويمكن تعريف الإعجاز التأثيري بأنه : " التأثير القرآني المباشر أو غير المباشر في نفوس وعقول وقلوب سامعيه تجاوز فيه مستوى كل تأثير " .
المقصود من ذلك أن القرآن الكريم قد بلغ في تأثيره مبلغاً خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله السابقة التي بلسان الأنبياء ولفظهم وكتب الناس [وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام] حيث يكون له السلطان القاهر على النفوس والحكم النافذ على العواطف والميول ما يصد الناس عن نهجهم الأول في عقائدهم التي توارثوها ، وعباراتهم التي ألفوها وأخلاقهم التي نشأوا عليها ، وعاداتهم التي امتزجت بدمائهم ، وما يحملهم على اعتناق هذا الدين الجديد الذي هدم تلك الموروثات فيهم وحارب تلك الأوضاع المألوفة لديهم ^(١) .

فالقرآن العظيم هو " المعجزة الكبرى التي أيد الله بها نبيه الأمي ﷺ والتي غير بها نفوساً ، وأحيا بها قلوباً ، وأنار بها بصائر ، وربى أمة ، وكوّن دولة في زمن يشبه الخيال ، فإذا كان قلب العصا حية معجزة .

(١) - انظر - الزرقاني - مناهل العرفان ٢٠١/٢ مرجع سابق .

- وهي معجزة بحق - فإن تغيير العقول والقلوب والأفهام أبلغ في الإعجاز وأكبر ، وإذا كان إحياء الميت من الخوارق والمعجزات التي أيد الله بها بعض أنبيائه ، فإن إحياء أمة أمية من الجهل والرذيلة والشرك والكفر إلى أمة مهتدية - هادية ، فاتحة - منتصرة قائدة رائدة عادلة ، حتى كانت مصدر إشعاع وهداية للناس ، إن هذا هو المعجز وهو الخارق ، الذي تتضاءل في جوانبه المعجزات " (١) .

وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم سحر العرب وسلب عقولهم ببيانه ونظمه وروعة معانيه الخالدة ، وهز النفوس منذ نزول آياته الأولى إلى أن اكتلمت سورة إلا وكان الإعجاز روحه الخفيفة تسري في قارئه وسامعة ومتدبره ، فينبعث فيه الإقرار النفسي والقناعة الذاتية ، بأن هذا كتاب إلهي ، أبدعت القدرة الالهية .

وإن قوى الإنسان عاجزة عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظيherا" (٢) فكتاب الله " يخاطب العقل والقلب معاً ويؤثر فيهما تأثيراً متلازماً " (٣) لكون المخاطب إنساناً له عقله وقلبه وبينهما من الترابط ما بينهما وهذا مايلمسه الإنسان عندما يتلو أو يستمع إلى كتاب الله بتدبر وتمعن .



(١) - محمد محمود الصواف - القرآن آثاره وأنواره - (ص١٩-٢٠) - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - دارالعمير - جدة - بتصرف يسير .

(٢) - عمر السلامي - الإعجاز الفني - (ص٥٢) - الطبعة بدون تاريخ - بدون مصنع الكتاب - تونس .

(٣) - زاهر عواض الالمعي - الجدل في القرآن الكريم - (ص٧٠) - الطبعة الثانية - ١٤٠٠هـ - مطابع الفرزدق - الرياض .

النصوص الدالة على تأثير القرآن الكريم في النفوس

من " الكتاب والسنة "

أولاً :- من القرآن الكريم :-

١- قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فماله من هاد ﴾ (١) .

هذا إخبار من الله سبحانه عن هذه الحقيقة ، فالقرآن الكريم حينما يسمعه الذين يخشون ربهم تقشعر من سماعه جلودهم وذلك من خشية تأثراً لكلام الله عزوجل لما فيه من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب وغيره ، ثم تطمئن نفوسهم وقلوبهم الى ذكر الله (٢) .

٢- قال تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ (٣) .

في الآية الكريمة يشير الله عز وجل الى شدة تأثير القرآن بحيث إنه لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، فلو كان قلب من يسمع القرآن قاسياً كالجبال الرواسي فلا بد أن يتأثر بالقرآن وذلك " لكمال تأثيره في القلوب " (٤) . وهذا خبرٌ من الله سبحانه وتعالى ومن أصدق من الله حديثاً !.

(١) - سورة الزمر : ٢٣

(٢) - أنظر ابن سعدي - تفسير الكريم الرحمن ٣١٨/٤ الطبعة ١٤٠٨هـ - دار المدني - جدة .

(٣) - سورة الحشر : ٢١

(٤) - أنظر عبدالرحمن ابن سعدي - تفسير الكريم الرحمن - ٥ / ٢١٤

٣- قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (١) .

في الآية الكريمة دلالة واضحة على تأثيره في قلب من يسمعه ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خافت ورهبت من خشية الله ، وسماعهم للآيات القرآنية يزيدهم إيماناً لتدبرهم لكلام الله عز وجل . (٢)

٤- قال تعالى ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ (٣) .
في الآية الكريمة دلالة على شدة تأثر من يستمع القرآن إن كان من الذين أوتوا العلم من قبل محمد ﷺ ، أو من قبل نزول هذا القرآن من أتباع الديانات - فهم " يتأثرون به غاية التأثير ويخضعون له " (٤) .

٥- قال تعالى ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٥) .

(١) - سورة الأنفال : ٢

(٢) - أنظر المرجع السابق ١٨٨/٢ - وأنظر مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي ٢٧٢، ٢ - ١٤١٠ هـ - مكتبة المعارف - الرياض .

(٣) - سورة الأسراء : ١٠٧ - ١٠٩

(٤) - ابن السعدي - المرجع السابق ١٣٦/٣

(٥) - سورة المائدة : ٨٢ - ٨٣

في الآية الكريمة إشارة إلى أن فئة من النصارى من القسيسين والرهبان وهم الذين كانوا سبب نزول الآيات - تفيض أعينهم من الدمع تأثراً بما يسمعون من القرآن المنزل على محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين (١).

٦- قال تعالى : ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً * يهدي إلى الرشd فأمنا به ﴾ (٢) .
في الآيتين الكريمتين دلالة على أن التأثير ليس مقتصرأ على الأنس فقط بل يشمل الجن - فإن الجن حينما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن - قالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً يهدي إلى الرشd ، يدل على الخير فمن تأثر بهذا الكلام وأمن به دلل على الخير . (٣)

٧- قال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٤) .
في الآية الكريمة نجد أن الكافرين يقولون لبعضهم ، ويتواصون ، بأن لا يستمعوا للقرآن وهو يتلى ويلغوا فيه ﴿ بالمكاء والتصدية ﴾ (٥) . لعلهم يغلبون ﴿ أى يسكت الرسول ﷺ عن القراءة ﴾ (٦) .
ولا يتأثرون بسماع القرآن الذي كانوا يخافون من أثر سماعه .

(١) - انظر المرجع السابق - ٥١١/١

(٢) - سورة الجن : آية ١-٢

(٣) - مختصر تفسير ابن كثير - للرفاعي - ٤٣٢/٤

(٤) - سورة فصلت ٢٦

(٥) - ابن سعدي - مرجع سابق - ٣٩٥/٤

(٦) - المرجع السابق : ٩٩/٤

٨- قال تعالى ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً﴾ * وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴿^(١) .

تفيد الآية الكريمة أن الله عزوجل أنزل القرآن بلفظ عربي مبين - وصرف فيه من الوعيد ليزداد التأثر بالقرآن عسى أن يكون في ذلك اتقاء وهم للنار أو يحدث لهم ذكر فيتذكرون وينتهون . ^(٢)

٩- قال تعالى ﴿انظر كيف نصرف الآيات ، ثم هم يصدفون﴾ ^(٣) .
تفيد الآية الكريمة إصرار المشركين على عدم التأثر بالقرآن ، على الرغم من تنويع الآيات وتصريفها إلا أنهم يعرضون ^(٤) .

١٠- قال تعالى ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾ ^(٥) .
تفيد الآية الكريمة أن لمثل هذا التنويع البديع في عرض الدلائل الكونية يعرض الله عزوجل الدلائل المنوعة المفصلة ، حتى تقوم الحجة بها على الجاحدين ، فلا يجدوا الاختلاق والكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس ، لا من الله ولنبين ماأنزل إليك من الحقائق ، من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ويذعنون له تأثراً بما فيه ^(٦) .

(١) - سورة طه : الآية ١١٣

(٢) - انظر ابن السعدي - المرجع السابق - ٢٥٤/٣

(٣) - سورة الانعام : الآية ٤٦

(٤) - انظر ابن السعدي - المرجع السابق - ٢٢/٢ - ٢٣

(٥) - سورة الانعام : الآية ١٠٥

(٦) - ابن السعدي - تيسير الكريم الرحمن - ٥٥/٢ - ٥٦

١١- قال تعالى ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ (١).

في الآية الكريمة إشارة كذلك إلى تأثير القرآن بأن الله عزوجل يصرف للناس من كل مثل - ولكن الطبيعة البشرية للإنسان أنه يكثر من المجادلة وليس تلك المجادلة لنصرة الحق بل لاتباع الباطل .

١٢- قال تعالى ﴿ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ (٢).

كذلك تفيد الآية الكريمة معنى قريباً من الآية السابقة بل وتؤكد أن أكثر الناس أطاعوا الشيطان وأثروا الكفر على الإيمان .

١٣- وقال تعالى ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليعذروا وما يزيدهم إلا نفوراً﴾ (٣).

وتفيد الآية الكريمة أن الانسان لم يؤثر الكفر على الإيمان فقط بل يتبع السبل التي تزيده من الإصرار على الكفر فهو ينفر من سماع كلام الله عزوجل حتى لا يتأثر بما فيه من حق وحتى لا يذعن لهذا الحق .

١٤- قال تعالى ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً﴾ (٤).

تفيد الآية الكريمة : أن النبي إذا ذكر الله وحده في القرآن مستشهداً بآياته على توحيده ولّو على أدبارهم خشية التأثير فينفرون من ذلك حباً منهم للباطل (٥).

(١) - سورة الكهف : الآية ٥٤

(٢) - سورة الاسراء : الآية ٨٩

(٣) - سورة الاسراء : الآية ٤١

(٤) - سورة الاسراء : الآية ٤٦

(٥) - انظر ابن السعدي - المرجع السابق ١١٢/٣

ثانياً :-

من السنة النبوية :

١- عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنم ، قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية ، ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السماوات والأرض ؟ بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾ كاد عقلي أن يطير . (١)

٢- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : " قال لي النبي ﷺ إقرأ علي ، قلت يارسول الله أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان " (٢) .



(١) - صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الطور : ٢٥-٢٦ - حديث رقم ٤٨٥٤

(٢) - المرجع السابق - كتاب الفضائل - باب قول المقرئ للقارئ - حسبك - حديث رقم ٥٠٥٠

المبحث الرابع :-

" مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم "

إذا كانت مظاهر الاعجاز القرآني تتعدد ، فإن القرآن الكريم معجز بكل ما فيه معجز بلفظه ، معجز بعبارته ، معجز بمعناه ومبناه .
والحديث هنا ليس عن أوجه الاعجاز في القرآن الكريم بل عن مظاهر الاعجاز التأثيري في القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم معجز ببلاغته رغم إن العرب مشهورون بالبلاغة والفصاحة وهذا الإعجاز مستمر إلى أن تقوم الساعة .

وهو معجز بكل ما فيه من علوم ، لعل بعضها لم يكتشف إلا في العصر الحديث ولا يزال العلم يوضح أموراً كثيرة من إعجاز القرآن الكريم العلمي .

وهو معجز بتشريعاته لكل مجتمع كان في زمن الرسول ﷺ كالمجتمع الروماني والفارسي وغيره ، وهو معجز بتشريعه لكل مجتمع يقوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
والتأثير في القرآن الكريم في كل إعجاز احتوى عليه القرآن الكريم .

فالعرب كانوا - ولا يزالون - تأسروهم الكلمة الجميلة ، والمعنى العذب ويذهب بهم تلك المعاني التي يوردها القرآن الكريم .
والعلماء تأثروا من القرآن الكريم ، فكل عالم تأثر منه بما ورد فيه من مجال علمه الذي قضى فيه معظم عمره .

فمن كان متخصصاً في مجال التشريع تأثرياً في القرآن من إعجاز تشريعي ، والعالم التجريبي تأثر بما ورد في القرآن من حقائق أثبتتها العلوم التجريبية التي يجري بعضاً من تجاربها .

فالتأثير قدر مشترك بين جميع أوجه الإعجاز في القرآن ، لأن من شأن الإعجاز في البيان والتحدي والاحكام أن يؤثر في النفوس .

ولكن أهم المظاهر التي نستطيع القول أن إعجاز القرآن الكريم التأثيري يتجلى من خلالها هي :-

١- الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

٢- الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم .

٣- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

فإعجاز القرآن الكريم البياني تجلّى من خلال أمور كثيرة ، لعل من أهمها أسلوب القرآن الكريم الذي لا يجاريه أسلوب ولا يستطيع أن يصل إليه أحد ، بما احتوى من علوم بلاغية ، وتصوير حي للأمور التي يصفها القرآن ، وبما عرضه من قصص عن الأنبياء السابقين وغيرهم ، وبما ورد من أساليب جدلية وغيرها ، كل ذلك بأسلوب كان من العلو والرفعة بحيث لا يستطيع مجاراته البشر أو محاكاته ، ومن خلال هذا البيان كان للقرآن الكريم تأثيره في نفوس من يفهم تلك اللغة ويتذوق معانيها .

وإعجاز القرآن التشريعي تجلّى في تشريعاته المحكمة التي كفلت للمجتمعات البشرية سعادتها في الدنيا والآخرة إن هي اتبعته ، فضلاً عن القالب اللغوي الذي صيغت فيه تلك التشريعات ، فكان للقرآن الكريم تأثيره في النفوس من خلال هذا المجال .

وإعجاز القرآن الكريم العلمي تجلى في عصرنا الحاضر حيث أثبت العلم الحديث وجود كثير من الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثاً وتبين حديث القرآن الكريم عنها ، فكان لهذا الإعجاز تأثيره في النفوس فضلاً عن التأثير الذي توحى به العبارات التي صيغت بها تلك الحقائق .

لذلك فإن القرآن الكريم كان له التأثير في نفوس سامعيه مجرد سماعهم للآية القرآنية لأحد الأمور السابقة الذكر .

وسيكون تفصيل الحديث عن هذه المظاهر في الفصول القادمة من هذا البحث ، وقد اقتصر الباحث في كل مظهر من مظاهر الإعجاز على موضوعات معينة لها ارتباط شديد بموضوع البحث ، وترك موضوعات أخرى قد يرى القاري أن لها علاقة وذلك خشية الإطالة ورغبة في عدم تشعب الموضوع ، كما أن المظاهر المذكورة هي أبرز مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم .

* * *

الفصل الثاني :

الإعجاز البياني في القرآن الكريم

ويشمل :

- المبحث الأول : التصوير الفني .
- المبحث الثاني : القصص القرآني .
- المبحث الثالث : التشبيه (ومدى تأثيره في النفوس) .
- المبحث الرابع : الجدل في القرآن الكريم
- المبحث الخامس : الترغيب والترهيب .
- المبحث السادس : العبرة والعظة (فيما حدث للمسلمين من أحداث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
- المبحث السابع : أمثلة تطبيقية لما سبق ودراسة كيفية تأثيره في النفوس .

المبحث الأول :-

" التصوير الفني في القرآن الكريم "

يقول سيد قطب رحمه الله التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخلية عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الانساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، وأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة ،

وفيهما الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل^(١)

وأما خصائص التصوير الفني في القرآن الكريم فهي :-

- ١- التخيل الحسي .
- ٢- التجسيم .
- ٣- التناسق .
- ٤- الحياة .
- ٥- الحركة .

* يعد سيد قطب رحمه الله رائد هذه الفكرة ومكتشفها . انظر صلاح عبدالفتاح الخالدي - نظرية التصوير الفني عند

سيد قطب - ص(١٢٩) - الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ .

* لينه قال هو الاداة الظاهرة أو الملموسة كثيراً في اسلوب القرآن .

(١) - سيد قطب - التصوير الفني - ص(٢٢) دار الشروق .

وسأحدث عن كل واحدة منها بإيجاز خشية الإطالة .

١- التخيل الحسي :-

ومن أمثله قوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾^(١) فإن هذه الصورة تثير في الخيال حركة تخيلية سريعة هي : حركة الاشتعال التي تتناول الرأس في لحظة^(٢) ففي التعبير عن الشيب جمال وإسناده إلى الرأس جمال آخر .
وألوان التخيل الحسي هي :-

أ- تخيل بالتشخيص :-

وهو " يمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية وتشمل المواد والظواهر والانفعالات ، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية ."^(٣)
قال تعالى ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾^(٤) هذا هو الصبح يتنفس ، فيخيل إليك هذه الحياة الوديعه الهادئة التي تنفجر عنها ثناياه وهو يتنفس - فتتنفس معه الحياة ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء^(٥) ، والصبح حي يتنفس أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي^(٦) .

(١) - سورة مريم آية : رقم (٤)

(٢) - التصوير الفني - سيد قطب ص(٢٩) .

(٣) - المرجع السابق - ص(٦١) .

(٤) - سورة التكويد : آية رقم (١٨)

(٥) - سيد قطب - التصوير الفني - ص(٦٢) .

(٦) - سيد قطب - في ظلال القرآن - ٢٨٤١/٦ - ٢٨٤٢

ب - تخييل بتوقع الحركة التالية :-

ومثاله قوله تعالى ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾^(١) .
فهنا الصورة لأناس واقفين على شفا حفرة من النار وتركت الصورة للقاري تخيّل الحركة التالية ، وفجأة يرى الخيال يد الله الحانية وهي تنقذهم من هذه الحفرة^(٢) . فتأمل كيف يكون تأثير هذه الصورة على السامع أو القارئ.

ج - حركة متخيلة ينشئها التعبير :-

ومن أمثله قوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾^(٣) . تلفتنا لفظة " فقدمنا " ذلك أنها تخيل للحس حركة القدوم التي سبقت نثر العمل كالهباء .
وهذا التخيل يتوارى بكل تأكيد لوقيل : ﴿وجعلنا عملهم هباءً منثوراً﴾ حيث كانت تنفرد حركة النثر وحركة الهباء دون الحركة التي تسبقها ﴿حركة القدوم﴾^(٤) . فالتأثير في هذه الآية يعود إلى كلمة ﴿قدمنا﴾ .

(١) - سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٦٤)

- وانظر نظرية التصوير لدى - سيد قطب - لصالح الخالدي - ص (١٤٠)

(٣) - سورة الفرقان : ٢٣

(٤) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٦٤) .

د - حركات سريعة متخيَّلة :-

ومثال هذا اللون قوله تعالى ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرمن السماء فتخطفه الطير﴾ أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴿^(١)﴾ .
فصورة المشرق وهو يهوي من شاهق ، فهو يهوي في حركات سريعة متتابعة وفي لمح البصر يتمزق ، أو تقذفه الريح في هوة سحيقة بعيداً عن الأنظار ^(٢) فالتأثير هنا له خاصية نابعة من سرعة الحركة المتخيَّلة .

هـ - حركة الساكن :-

وهذا اللون يمثل في الحركة الممنوحة لما من شأنه السكون ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ ^(٣) .
فالرأس ساكن ، ولكن هذا التعبير المصور المتخيل يخلل للشيب في الرأس حركة كحركة اشتعال النار في الهشيم ^(٤) فيها حياة وجمال .
ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ ^(٥) فإن الأرض الساكنة الهامدة انتفضت فيها الحياة والحركة ، وإذابها تتفجر عيوناً تجري، لتلتقي مع الماء المنهمر النازل من السماء ^(٦) .

(١) - سورة الحج : ٣١

(٢) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٦٥) .

(٣) - سورة مريم : ٤

(٤) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٦٦) .

(٥) - سورة القمر : ١٢

(٦) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٢٩) - وانظر نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

- صلاح الخالدي - ص (١٤٥) - مرجع سابق .

٢- التجسيم :-

فليس المقصود بالتجسيم هو التشبيه بمحسوس فهذا كثير معتاد ، إنما يعني لوناً جديداً هو تجسيم المعنويات لاعلى وجه التشبيهية والتمثيل بل على وجه التصيير والتحويل .^(١) ومن أمثله قوله تعالى ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً و ماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾^(٢) . فهنا نجد أن العمل المعنوي أصبح مادة محسوسة تحضر على وجه التجسيم أو تحضر هي على وجه التشخيص أو توجد عند الله كأنها وديعة تسلم هنا فتتسلم هناك .^(٣) فالتأثير في هذه الآية نابع مما توحىه من تجسيم لأمر معنوي يعني للسامع الضمان الكلي لما يقوم به من عمل صالح .

٣- التناسق الفني :-

- والتناسق ألوان ودرجات . ومن هذه الألوان ماتنبه إليه بعض الباحثين في بلاغة القرآن ، ومنها ما لم يمسه أحد منهم حتى الآن . منها :-
- ١- التنسيق في تأليف العبارات ، تخير الألفاظ ، ثم نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة أرقى الدرجات .
 - ٢- الإيقاع الموسيقي الناشيء من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص .
 - ٣- النكت البلاغية التي تنبه لها الكثير من التعقيبات المتفقة مع السياق ، كأن تجيء الفاصلة "وهو على كل شيء قدير" بعد كلام يثبت القدرة .
 - ٤- التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات ، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض .

(١) ، (٢) - سيد قطب التصوير الفني - ص (٦٧) .

(٢) - سورة آل عمران : ٢٠ .

٥- التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص - والخطوات النفسية التي تصاحبها .

وللتناسق الفني أفاق^(١) هي :-

١- تناسق التعبير مع المضمون .

٢- استقلال اللفظ برسم الصورة .

٣- التقابل بين صورتين حاضرتين .

٤- التقابل بين صورتين ماضية وحاضرة .

٥- تناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة :-

أ - تناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة مع نظام الفواصل والقوافي .

ب - تناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة مع جوال الصورة العام الذي أطلق منه .

٦- التناسق في رسم الصورة .

٧- التناسق في رسم إطار الصورة .

٨- التناسق في مدة العرض .

٤- الحياة الشخصية :-

مما يتميز به التصوير الفني في القرآن الكريم أنه " تصوير حي ، منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة وخطوط جامدة تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس أدمية حيّة ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة" (٢) .
والمعاني الذهنية والحالات المعنوية النفسية " لم تستبدل بها صور فحسب، ولكن أختيرت لها صورة حية ، وقيست بمقاييس حية ، ومرت من خلال وسط حي" (٣) .

(١) - سيد قطب - التصوير الفني - ص(٧٤ - ١٠٥) باختصار . (٢) - سيد قطب - التصوير الفني - ص(٣٢)

(٣) - المرجع السابق - ص(٢٠٠) .

ومن الأمثلة على الحياة في التصوير الفني في القرآن قوله تعالى :-

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ وتضع كل ذات حمل حملها ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ ^(١) . زلزلة الساعة المرعبة ، وهولها العظيم المهول ، هول حي يمر في وسط حي ، ويقاس بمقاييس حية ^(٢) ، فهو " هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة ولكن يقاس بوقعه في النفوس الأدمية ! في المرضعات الذاهلات عما أرضعن - وما يذهل المرضعة عن طفلها وثديها في فمه إلا الهول الذي لا يدع بقية من وعي - والحوامل الملقيات حملهن ، وبالناس سكارى وما هم بسكارى ﴾ ولكن عذاب الله شديد ﴿ ^(٣) .

٥- الحركة المتجددة :-

الحركة قاعدة من قواعد التصوير الفني في القرآن الكريم وهي سمة بارزة في كل أفاق التصوير سواء المعنى الذهني أو الحالة النفسية ، أو النموذج الإنساني أو القصص والأمثال والحوادث والمشاهد أو غير ذلك من الآفاق . فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة وحتى ينقلهم إلى مسرح الحوادث الأول - الذي وقعت فيه أو ستقع ، حيث تتوالى المناظر ، وتتجدد الحركات وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ، ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض ، وحادث يقع - فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدوا ، وهذه سمات الإنفعال بشتى الوجدانات ، المنبعثة من الموقف ، المتساوقة مع الحوادث ، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتتم عن الأحاسيس المغمرة ^(٤) .

(١) - سورة الحج : ١ - ٢

(٢) - صلاح الخالدي - نظرية التصوير عند سيد قطب - ص (١٨٦-١٨٧) مرجع سابق .

(٣) - سيد قطب - في ظلال القرآن - ٢٤٠٨/٤ بتصرف يسير .

(٤) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٣٢) .

ومن الأمثلة على هذه الحركة المتجددة في التصوير القرآني قوله تعالى :-

﴿ هو الذي يسيّرکم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها جاءتها ریح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾^(١) ، فالحركة هنا ملحوظة في كل جزئية من جزئيات المشهد ، فعين السامع ترى القوم يركبون السفينة ، وهي تسير بهم في البحر ، وهي تجري وسط أمواجه وتتحرك في هذا البحر بريح طيبة ، وفجأة يقع مالم يكن في الحساب إذ سرعان ماتأتیهم ریح عاصفة قوية وعنيفة ، تحرك الموج معها بعنف وقوة فيحيط بهم من كل مكان ، فتضطرب السفينة مع هذه الأمواج العادية وأيقن اهل السفينة أنهم أحيط بهم ، فهذه الصور مليئة بالحركة المتجددة بل إن بعض الصورة تتحرك بشدة وعنف وسرعة^(٢) .

وبعد هذا العرض المختصر لنظرية التصوير الفني في القرآن الكريم قد يتساءل القاري الكريم وما علاقة هذا التصوير الفني بموضوع البحث - تأثير القرآن الكريم يجيب عن هذا التساؤل صاحب النظرية نفسه فيقول " فما يكاد يبدأ العرض حتي يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول ، الذي وقعت فيه أو ستقع حيث تتوالى المناظر ، وتتجدد الحركات ، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ، ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض ، وحادث يقع ، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو ، وهذه سمات الإنفعال بشتى الوجدانات ، المنبعثة من الموقف ، المتساوقة مع الحوادث وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتتم عن الاحاسيس المضمرة إنها الحياة هنا ، وليست حكاية الحياة " .

(١) - سورة يونس : ٢٢

(٢) - انظر - صلاح الخالدي - نظرية التصوير الفني لدى سيد قطب - ص (١٩١) .

(٣) - سيد قطب - التصوير الفني - ص (٣٢) .

وهكذا نجد أن التصوير الفني في القرآن الكريم يؤثر في السامع عن طريق إعمال حاستي التذوق والتخيل ، فالقرآن الكريم عندما يصف لك حال المنافقين مثلاً أو حال الكفار وهم في ضلالهم يتخبطون ، فهو يتغلغل إلى أعماق النفس الانسانية ، محاولاً بذلك نقلها من الغي الى الهدى ، ومن الضلال إلى النور فالتصوير في القرآن له تأثيره في السامع من خلال ما يعرضه من صور فنية ، لا تستطيع العقول البشرية إلا أن تقف أمامها مشدوها لا حراك بها .

* * *

المبحث الثاني :-

“ القصص في القرآن الكريم ”

لقد وردت في القرآن الكريم قصص كثيرة ، وهذه القصص معظمها عن أنبياء الله السابقين لمحمد ﷺ ، وتشغل القصة في القرآن الكريم حيزاً كبيراً ، إن لم يكن معظم القرآن هو عن قصص الأنبياء السابقين .

وقد كانت القصة في القرآن الكريم مثار اهتمام العلماء السابقين الذين حاولوا دراسة الإعجاز القرآني .

وقد عد بعضهم^(١) القصص القرآني وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم . حيث ذكر أن من إعجاز القرآن إخباره بأحوال القرون والأمم السابقة والعصور الماضية بما لا يحتمل الشك وشاهد لا يحتمل النقص على نبوته ﷺ .

والحقيقة إن الإعجاز في قصص القرآن يعود أيضاً إلى أمر آخر وهو أسلوب القرآن المعجز في عرض قصص الأنبياء والأمم السابقة .

“ ويتميز هذا الأسلوب بخصائص جلية تعطي للنور القصصي روعة ووضوحاً وتكون لها أثارها العميقة في النفس ”^(٢) .

“ وهذا الأسلوب إنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز ، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة ، واعتقلهم عن الكلام فيه ، وضربهم بالحجة من أنفسهم .

(١) انظر -الباقلائي- إعجاز القرآن -ص(٦١) وما بعدها . وانظر السيوطي -معتوك الاقران في إعجاز القرآن- ص(١٨٠) وما بعدها .

(٢) -محمد السيد حسن مصطفى- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية -ص(٦٧)- الطبعة الأولى -١٩٨١م- مؤسسة شباب الجامعة -الاسكندرية .

ثم هو الذي مثّل لهم اليأس قائماً لا يتصل به الطمع وصوّر لهم العجز غالباً لا تنال منه القدرة " (١) .

وقصص القرآن الكريم - هو قصص لأمر واقع ، سيقّت للعبّر واعطاء المثلّات ، وبيان مكان الضالّين ، ومنزلة المهتدين ، وعاقبة الضلال - وعاقبة الهدايه - وبين مايقاوم به النبيون ووراءهم كل الدعاة للحق - فهو قصص يبين الوقائع لا مجرد المتعة من الاستماع ، والقراءة (٢) ، قال تعالى في آخر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ ماكان حديثاً يفتري * ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) .

وقد تتكرر القصّة في القرآن في أكثر من موضع منه ، فالتكرار يكون للشخصية لا للحدث بكامله ، وهذا التكرار له حكم كثيرة منها :-

١- إن فيه تعريف القول الذي هو وجه من وجوه البيان في القرآن الذي قصد إليه الكتاب العزيز (٤) .

٢- إن القصص القرآني فيه إيناس للرسول ﷺ وتثبيت لقلبه من خلال معرفته لما جرى لإخوانه من الأنبياء السابقين (٥) .

٣- إن التكرار كان لاقتضاء الحال - واستلزام المقام له ، كما أنه وجه بارز وعنصر أصيل في البلاغة القرآنية (٦) .

(١) - الرافعي - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - ص(٢١٤) .

(٢) - محمد ابو زهرة - المعجزة الكبرى - ص(١٦٢ - ١٦٣) .

(٣) - سورة يوسف : ١١١

(٤) - سيد قطب - التصوير الفني - ص(١٤٥) .

(٥) - محمد أبو زهرة - المرجع السابق - ص(١٨٧) .

(٦) - د . فتحي عبدالقادر فريد - بلاغة القرآن في أدب الرافعي - ص(١١٠) - دار المنار - القاهرة .

”مثال للقصة في القرآن“

ولنأخذ مثلاً واحداً لذلك قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فإنه له مقام عند العرب لأنه أبُ العرب ، وقصصه تتعدد العبر فيها .

أ - قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم حينما قام ببناء الكعبة ، وعاونه في ذلك ابنه اسماعيل عليه الصلاة والسلام فبأُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإسماعيل عليه الصلاة والسلام تشرف العرب بأنهم سلالتهم ، وبالببيت الحرام اعتزوا إذ جعله الله عز وجل مثابة للناس وأمناً . قال تعالى في ذلك :- ﴿ وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَتَمَنَّى ، قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنْبَغُ لَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَإِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ . وإذ قال ، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار ، وبئس المصير ﴾ . وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ٤ . (١)

فنبى هذه الأمة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .
ب - ثم ذكر القرآن الكريم كيف تدرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام في تعيين الذات الإلهية عن طريق تأملة للكون :-

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَأُ اتَّخَذَ أَصْنَامًا آلِهَةً ، إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾

(١) - البقرة : ١٢٤ - ١٢٩

فلما جَنَّ عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفيلن ﴿١﴾ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل ، قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴿٢﴾ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفل ، قال يا قوم إني بريء مما تشركون ﴿٣﴾ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴿٤﴾ وحاجّه قومه ، قال أتجأوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً ، وسع ربي كل شيء علماً أفلاتتذكرون ﴿٥﴾

ج - ثم انتقل نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام - كما يحدثنا القرآن الكريم من الاهتمام الى الله عز وجل إلى عمل إيجابي في الدعوة نحو الأصنام دفعه نور الله إلى أن يحطّمها ، ليثبت ضلال عبادتها ، وأنها لا تضر ولا تنفع .

قال تعالى ﴿١﴾ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ، وكنا به عالمين ﴿٢﴾ إذ قال لأبيه وقومه ، ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴿٣﴾ قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ﴿٤﴾ قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين ﴿٥﴾ قالوا أجبئنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴿٦﴾ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴿٧﴾ وتالله لأكيدين أصنامكم ، بعد أن تولّوا مدبرين ﴿٨﴾ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين ﴿٩﴾ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴿١٠﴾ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون ﴿١١﴾ قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم ﴿١٢﴾ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون ﴿١٣﴾ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴿١٤﴾

(١) - سورة الانعام : ٧٤ - ٨٠.

ثم نكسوا على رؤوسهم ، لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا
ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ قالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴿ قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ وأرادوا به كيداً فجعلناهم
الأخسرين ﴿^(١)

فهنا لانجد تكراراً مطلقاً ، والموضوع واحد ، وهو قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ولكنها فرقت في أبواب شتى لأن النسق القراني المعجز اقتضى ذلك ، فهي قصة وهي قصص
من حيث العبرة .

د- يسوق القرآن الكريم قصة النفس البشرية لدى نبي الفطرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،
فالنفس ولو كانت مؤمنة تتمتع بكثرة الدليل ، تطلب الزيادة ليزداد الإيمان ، وليطمئن قلبه زيادة .

قال تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم ، رب أرني كيف تحي الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ،
ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير ، فصرنهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعياً ، واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾^(٢) .

وهذا نموذج واحد من قصص الأنبياء في القرآن الكريم لم نلاحظ عليه التكرار على أن التكرار
الذي أشرنا إلى أسرارهِ سابقاً ليس المقصود منه تكرار القصة أو الحديث بل تكرار شخصية
الحدث وأجزاء يسيرة من الحدث ، فالشخصية في القرآن قد يتكرر ذكرها في أكثر من موقع ،
وما حدث لهذه الشخصية مع قومها قد يذكر مجزئاً في أكثر من موقع من القرآن ، إيناساً
لِلرَّسول ﷺ وتثبيتاً لقلبة كما سبق ذكره في أسرار التكرار .

(٢) - سورة البقرة : ٢٦٠

(١) - سورة الأنبياء : ٥١ - ٧٠

” أغراض القصة في القرآن الكريم ”

لاشك أن القصة في القرآن الكريم أو ردت لحكم وغايات فمن هذه الحكم والغايات^(١) :-

١- إثبات الوحي والرسالة .

٢- إثبات أن الدين كله من عند الله عز وجل من عهد سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام إلى عهد نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه وعليهم .

٣- بيان أن الدين كله موحد الأساس (العقيدة الإسلامية ، الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة)

٤- بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة ، وأن استقبال قومهم لهم متشابه .

٥- بيان الأصل المشترك بين الدين الذي بعث به نبي الأمة ﴿ محمد ﷺ ﴾ ودين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بصفة خاصة ، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة .

٦- بيان نصره الله تعالى لأنبيائه ، وإهلاكه للمكذابين ، وذلك تثبيتاً لقلب الرسول ﷺ وتأثيراً في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان . قال تعالى ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾^(٢) .

٧- تصديق التبشير والتحذير قال تعالى ﴿ نبئ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾^(٣) .

٨ - بيان نعم الله عز وجل على أنبيائه وأصفياه كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى عليهم الصلاة والسلام .

(١) - جميع الفقرات اللاحقة مختصرة من كتاب - التصوير الفني - لسيد قطب .

(٢) - سورة هود : ١٢٠

(٣) - سورة الحجر : ٤٩

٩ - تنبيه أبناء آدم الى غواية الشيطان ، وإبراز العدواة الخالدة بينه وبين ابيهم آدم ، وإبراز العدواة عن طريق القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر .

١٠ - بيان قدرة الله عزوجل على خلق المعجزات وهو قادر على كل شيء لأنبيائه ولغيرهم أو في خلقتهم مثل :- خلق آدم عليه الصلاة والسلام . وخلق عيسى عليه الصلاة والسلام ، واخراج الناقة من الصخرة ، وخلق الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ^(١) .

* * *

(١) - سيد قطب - التصوير الفني في القرآن الكريم - ص(١٢٠) وما بعدها بتصريف واختصار

” التأثير في القصص القرآني ”

إن القصة في القرآن الكريم تمتاز بالتركيز والإيجاز والإشارة الخاطفة من غير إغراق في الخيال . وهي تهدف إلى التأثير عن طريق المضمون ^(١) والسياق الذي تجري فيه الأحداث وقصص القرآن يمتاز بدقة الأسلوب وجزالة اللفاظ وتلاؤم الفواصل وانسجام الحروف والكلمات وتسلسل الأفكار .

وليست القصة القرآنية عملاً فنياً مجرداً مقصوراً لذاته ، ولكنها لون رفيع متميز من ألوان البيان القرآني يخضع لمقومات خاصة ولذلك في تشتمل على معظم خصائص البيان القرآني ومقوماته ^(٢) .

(١) - بخلاف بعض الكتب السماوية السابقة المحرفة كالإنجيل فإنها تهدف إلى التأثير عن طريق الشكل والإطار ،

وهي تتسم بالميل إلى الخيال - وأسلوبها يفقد الوحدة الموضوعية .

(٢) - انظر محمود السيد حسن - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية - ص(٣٥٨-٣٥٩) -

الطبعة الاولى ١٩٨١م - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية .

- وانظر راوئع الإعجاز القرآني - المؤلف السابق - ص(٣٦٥) - المكتب الجامعي - الاسكندرية .

المبحث الثالث :- " التشبيه " *

عرّف التشبيه بتعريفات عدّة منها :-

- ١- العقد على أن أحد الشئيين يسدّ مسدّ الآخر في حسنٍ أو عقل (١) .
وقالوا عن هذا التعريف : أنه جعل أحد الشئيين في مقام الشيء الآخر لأمر مشترك بينهما .
وهو في ثانيهما أقوى مظهراً أو أبين مخبراً ، كما نقول عليّ كالأسد في الشجاعة - فهو في الأسد أظهر ، ولا يمكن أن يقال : " أن أحدهما يسدّ مسدّ الآخر صورة أو معنى (٢) .
- ٢- هو إلحاق شيء بذی وصف في صنعة (٣) .
- ٣- إخراج الأغمض إلى الأظهر (٤) .

* لقد خاض السابقون في قضية هل التشبيه من المجاز أم لا ؟ والقرآن مليء بالتشبيهات فهل في القرآن مجاز أم لا ؟ وذهب الأغلبية إلى وجود المجاز في القرآن - يقول السيوطي في ذلك " التشبيه نوع من المجاز ، ونفى الظاهرية وقوعه في القرآن ، قالوا لأنه كذب . فإن قولك للبلید : هذا حمار كذب والقرآن منزّه عن الكذب ، قلت : الذي قال هذا حمار ، فقد اتفق أهل البلاغة على أن المجاز أبلغ من الحقيقة "

- انظر السيوطي - التحبير في علم التفسير - ص(٢٠٣ - ٢٢٠) - الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - دار العلوم - الرياض .
- (١) - الرماني - النكت في إعجاز القرآن - ص(٨٠) - ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز - مرجع سابق .
- (٢) - محمد ابوزهرة - المعجزة الكبرى - ص(٢٤١) - مرجع سابق .
- (٣) - حفني محمد شرف - التصوير البياني - ص(١٠٢) - الطبعة الثانية - مكتبة الشباب - المنيرة .
- (٤) - ابن أبي الاصبع - يديع القرآن - ص(٥٨) - نهضة مصر .

- ٤- هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ، والمراد هنا ما لم تكن على وجه الاستعارة التحقيقية^(١) ، وهذا التعريف هو الذي عليه البلاغيون وذهبوا إليه . وله أدوات هي :-
الكاف - وكأن - ومثل " وما في معناهما " .
ويجري التشبيه في صور كثيرة تفهم من طبيعة السياق من ذلك :-
- المبتدأ والخبر كقول الرسول ﷺ " الكماة جذري الأرض " ^(٢) .
والمصدر المبين للنوع نحو : " أقدم الأقدام الأسد " .
- والمضاف والمضاف إليه كقول النبي ﷺ " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم -
أوعلى وجوههم - إلا حصائد ألسنتهم " ^(٣)
فكأنه قال : كلام الألسنة كحصائد المناجل والتناسب بوساطة التلميح أو التهكم كأن يقال للجبان ما أشبهه بالأسد .



-
- (١) - محمد علي ابوحمده - من أساليب البيان في القرن - ص(٥٢-٥٣) - الطبعة الثانية ٤٠٣هـ - مكتبة الرسالة-عمان-الأردن .
(٢) - أنظر جامع الترمذي كتاب الطب - باب ما جاء في الكماة والعجوة - والحديث رواه أبو هريرة -
- وأنظر تحفة الأخوي - بشرح جامع الترمذي ، للمباركفوري ٢٣٦ / ٦ ، حديث رقم (٢١٤٨) .
(٣) - جامع الترمذي - كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة .
- وأنظر تحفة الأخوي للمباركفوري - ٢٦٥ / ٧ - حديث رقم (٢٧٤٩) . الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - دار الفكر .

" أطراف التشبيه "

يقول السكاكي :-

" إن التشبيه يستدعي طرفين ، مشبهاً ومشبهاً به . واشتراكاً بينهما من وجه

وافتراقاً من وجه آخر مثل أن يشتركا في الصفة أو بالعكس (١) .

فأركان التشبيه أربعة هي :-

مشبه ، ومشبه به ، الأداة ، ووجه الشبه.

وينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى أربعة أقسام :-

الأول :- تشبيه محسوس بمحسوس .

الثاني :- تشبيه محسوس بمعقول .

الثالث :- تشبيه معقول بمعقول .

الرابع :- تشبيه معقول بمحسوس .

١- تشبيه المحسوس بالمحسوس :-

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد

كالعرجون القديم ﴾ (٢) .

أي قدرنا سير القمر في منازل حتى إذا كان آخر منازل صار دقيقاً وتقّوس حتى أصبح كالعرجون ﴿ وهو عود النخيل العتيق اليابس ﴾ .

(١) - أبو يعقوب محمد السكاكي - مفتاح العلوم - ص(٢٢٢) - الطبعة الاولى - ١٤٠٢ -

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٢) - سورة يس : ٢٩

فقد شبه القمر بالعرجون في دقته وتقوُّسه واصفراره . والطرفان هما القمر والعرجون حسيَّان^(١) "وكذلك قوله تعالى ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر ، كأنه جمالة صفر﴾^(٢).

المعنى : - إن شرر النار يتطاير في جهنم من كل مكان وكل شرارة منه اشبه بالقصر - وهو البناء العالي أو الشجر الغليظ في عظمته وارتفاعه - ويشبه الجمال السود التي يميل لونها إلى الصفرة^(٣) ، فشبه الشرر حين ينفصل من النار في عظمة القصر ، وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لا نشقاقه ، وتشعبه في أعداد غير محصورة بالجمالة السود التي يميل لونها إلى الصفرة ، في اللون وسرعة الحركة ، والكثرة والانشقاق والتتابع ، إذا كان ذلك من شأن هذه الابل عند اجتماعها وتزاحمها ، واضطراب أمرها ، وهذه كلها أمور حسية .^(٤)

٢ - تشبيه معقول بمعقول :-

نحو تشبيه المرض الشديد بالموت ، والعافية بالملك ، والعلم بالنور ، والسفر بالعذاب . قال الزركشي (٥) ومنه :- قوله تعالى : - ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾^(٦).

(١) - عبدالقادر حسين - القرآن والصورة البيان ص(٤٦) .

(٢) - سورة المرسلات : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) - المرجع السابق - ص(٥٠) .

(٤) - انظر تفسير ابن كثير ٤٦١/٤ - وانظر تفسير الكرم المنيان - لابن سعدي ٢٦٥/ ٥

(٥) - البرهان في علوم القرآن - ٤٢/٢

(٦) - سورة البقرة : ٧٤

فالآية الكريمة تصف قلوب بني اسرائيل بالغلظة والقسوة وذهاب اللين منها والرقّة ، ثم يبين الله سبحانه وتعالى كيف كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة فبعض الحجارة يتفجر منها الانهار ، وبعضها تنبع منه العيون ، وبعضها تخشع من مهابة الله ، أما قلوبهم فلا تعرف الرحمة والخشوع - وشبه الله سبحانه وتعالى قلوبهم في القسوة بالحجارة ، لأنها غاية في المثل (١) .

ويعترض السيوطي على وضع هذه الآية في تشبيه المعقول بالمعقول فيقول "وكذا مثل به الزركشي في البرهان ، وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة ، وهو غير ظاهر بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس " (٢) . ورأي الامام السيوطي لعله أقرب الى الصواب وله وجاهته مما يفيد أن تشبيه المعقول بالمعقول لم يقع في تشبيهات القران .

٣ - تشبيه المعقول بالمحسوس :-

وهو تشبيه أمور غير حسيه " معقولة " كالعلم والعمل الخيري من أعمال البر وغيره مهما عظم وجل وكيف يحبط هذا العمل إن لم يكن على إيمان ومنه قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ (٣) .

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٤) .

(١) - الزركشي - البرهان في علوم القرآن ٤٢/٢

(٢) - الامام السيوطي - معترك الاقران - ٢٧/١

(٣) - سورة ابراهيم : ١٨ (٤) - سورة الجمعة : ٥

فقد شبه القرآن اليهود الذين أوتوا التوراة وكلفوا بالعمل بمحتواها وما فيها فانصرفوا عنها ولم ينتفعوا بها ، واستنكروا نبوة محمد ﷺ وقد أمروا فيها بتصاديقه ، واتباعه ، شبههم بالحمار الذي يحمل على ظهره أحمالاً من كتب العلم ولكنه للأسف لا يستطيع الانتفاع بها - بل لا يعقل ما فيها - وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة ترجى ، فحملهم التوراة أمر معنوي المراد به القيام بما فيها ، وليس حملاً حسيماً كالحمل على العاتق فهو من قبيل تشبيه المعنوي بالحسي (١) .

٤ - تشبيه المحسوس بالمعقول :

نفى كل من الزركشي والسيوطي وقوع مثل هذه النوع من التشبيهات في القرآن الكريم ، لأن العقل مستفاد من الحس - فالمحسوس أصل للمعقول وتشبيهه به يسلم على جعل الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً ، وهو غير جائز (٢) .

وينقسم التشبيه باعتبار إيحائه المعنوي من خلال تصويره المعنى إلى :

١ - إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه . مثاله قوله تعالى ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ (٣) .

٢ - إخراج مالم تجربه العادة الى ماجرت به العادة . كقوله تعالى ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾ (٤) .

(١) - انظر - عبد القادر حسين - القرآن والصورة البلاغية - ص(٥٣ - ٥٤) - بتصرف - مرجع سابق .

(٢) - انظر الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ص(٤٧٨) .

- وانظر السيوطي - معترك الاقران في اعجاز القرآن - ص(٢٠٤) - وكلاهما أورد عبارة " بل منعه الامام " .

(٤) - سورة الاعراف : ١٧١

(٣) - سورة النور : ٢٩

- ٢ - إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها كقوله تعالى : ﴿ وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ (١) .
- ٤ - إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة وذلك كقوله تعالى ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ (٢) .
- ٥ - تشبيه ماتقع عليه الحاسة بما لا تقع ، إعتماًداً على معرفة النقيض والضد كقوله تعالى ﴿ طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ (٣) .

* * *

(١) - سورة الحديد : ٢١

(٢) - سورة الرحمن : ٢٤

(٣) - سورة الصافات : ٦٥

” التشبيه التمثيلي ”

هو ما كان وجه الشبه فيه مركباً ، أي منتزِعاً من أمرين أو عدة أمور امتزج أحدها بالآخر حتى يستخرج من مجموعها صورة جديدة غير التي كانت عليه في حال الأفراد ^(١) . وهو كثير في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً - وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴾ ^(٢) أي حال هؤلاء في الكفر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم ، وتظاهروا على النبي ﷺ ، والتكذيب بآيات الله ، بحال آل فرعون في تظاهروا على موسى عليه الصلاة والسلام ، وتكذيبهم بآيات الله التي جاء بها . فوجه الشبه مركب من أمور مجتمعة هي : الانغماس في الكفر ، وعداوتهم للنبي ﷺ - والتكذيب بآيات الله - وليس من شيء من هذه الأشياء ^(٣) . هذا هو التشبيه التمثيلي . ومنه قوله تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ ^(٤) . إن الله عزوجل يرضى عن الذين يحاربون إعلاءً لكلمته ، وصيانة لدينه واقفين مترابطين كأنهم في التحامهم - واتحادهم وتماسكهم بنيان محكم لا شغرة فيه ، ولا خلل حتى صار قالباً واحداً ، فالصف المستوي هو في جملته أوثق الصفوف ، وأشدّها ، كالبنيان المحكم في استوائه ، وصحة نظامه مع شدة تماسكه ^(٥) .

(١) - ابن القيم - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - ص (٩٨) .

(٢) - سورة آل عمران : ١٠ - ١١ .

(٣) ، (٥) - عبد القادر حسين - القرآن والصور البيانية - ص (٦٦-٧٢) .

(٤) - سورة الصف : ٤

” أغراض التشبيه ”

للتشبيه أغراض كثيرة نذكر منها :-

١- بيان حال المشبه :- ومنه قوله تعالى ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ، فرّت من قسورة ﴾ ^(١) . شبههم الله عزوجل بحمر الوحش عندما تنفر مندهشة برؤية بعض الأسود فلا تتمالك إلا البعد عنها ، والهرب منها ، فصورة الحمر الوحشية ونفورها عند الخطر معلومة عند السامع ، وأشد من ادراك نفور المنافقين من الدعوة الجديدة ﴿ دعوة الحق ﴾ فالغرض هنا من التشبيه تحويل المعنى المجهول الى صورة محسوسة مكشوفة .

٢- بيان مقدار حال المشبه : في القوة والضعف والزيادة والنقصان : ومنه قوله تعالى ﴿ ثم إنكم أيها الضالّون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ، فمالتون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ، هذا نزلهم يوم الدين ﴾ ^(٢) .

فعذاب الكافرين المكذبين بالرسالة ، وشرابهم الماء البالغ نهاية الحرارة أمر يعرفه المخاطب - لكنه لا يعلم مدى ظمئهم إلى هذا الماء المغلي - فبين الله مقدار هذا الظم ، فشبههم بالابل العطاش التي لاتروى أبداً لداء يصيبها يسمى «الهيام» ولا تزال تطلب المزيد من الشراب حتى تهلك ^(٣) .

(١) - سورة المدثر : ٥٠ - ٥١

(٢) - سورة الواقعة : ٥١ - ٥٦

(٣) - عبدالقادر حسين - القرآن الصورة البانية - ص(٨٦) .

٢ - تقرير حال المشبه في ذهن السامع :-

وهذا يأتي لإبراز الأمور المعنوية الذهنية في صورة حسية مشاهدة حتى تستقر في نفس السامع ، وتتمكن في ذهن المخاطب ، وذلك لأن النفس بطبيعتها تميل إلى الأمور المحسوسة التي يقع عليها الحس ، وتنبو عن المعاني المجردة ، منه قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾ (١) . فاعمال الكافرين أمر معنوي لا يمكن إدراكه بالحواس ، ولا يستقر في الذهن إلا إذا أتى في معرض الحس والمشاهدة . فيشبه الرماد الذي تذوره الرياح في يوم شديد العصف دليل على عدم استفادة الكافر منه (٢) .

٤ - تزيين المشبه : ومنه قوله تعالى ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ (٣) .

في صفاء لون الياقوت وحمرة المرجان .

٥ - تقبيح المشبه والتنفير منه : ومنه قوله تعالى ﴿ فمثله كمثل الكلب إن

تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ (٤) .

وذلك في رجل من بني اسرائيل نبذ الكتب المقدسة وكفر بها .

(١) - سورة ابراهيم : ١٨

(٢) - عبدالقادر حسين - المرجع السابق - ص(٨٨- ٨٩) .

(٣) - سورة الرحمن : ٥٨

(٤) - سورة الاعراف : ١٧٦

" خصائص التشبيه في القرآن الكريم "

من خصائص التشبيه في القرآن ما يأتي :-

١ - التشبيه في القرآن الكريم تختار عناصره من الطبيعة .

فلو تأملنا التشبيهات في القرآن لوجدناها من الطبيعة في الجزيرة فمن النبات نجد أن القرآن الكريم قد ذكر : العرجون - النخل ، العصف ، الشجرة الطيبة . ومن الحيوان قد ذكر الحمار ، الكلب ، الجمال ، الأنعام . ومن الجماد قد ذكر العهن المنفوش ، الجبال ، الحجارة ، الخشب .

ومن الأمثلة على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (١) .

٢ - التشبيه في القرآن الكريم ليس عنصراً إضافياً في الجملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه .

فلم يرد مجرد تزيينها بعد تمام معناها ، لكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه ، فعمله في الجملة أنه يعطي الفكرة في صورة واضحة مؤثرة ، فهو لا يعني إلى التشبيه كأنه عمل مقصود لذاته ، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة يتطلب المعنى ليصبح واضحاً قوياً ، وتأمل قوله تعالى ﴿ صم بكم عُمي فهم لا يرجعون ﴾ (٢) ، فهم لا يسمعون الحق ولا يرونه ، ولا يرون الأدلة التي تهدي إليه ، فانظر كيف نقل إليك هذا التشبيه هذه الصورة ، قد نقلها لك صورة قوية مؤثرة - كما تدرك شدة الفزع والرهبة التي ألت بهؤلاء الذين دعوا إلى الجهاد ، فلم يدفعهم إيمانهم إلى الرضا والتسليم بل ملأ خوف الموت نفوسهم (٣) .

(١) - سورة العنكبوت : ٤١ - أول الآية (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) .

(٢) - سورة البقرة : ١٨

(٣) - د . حسن ضياء الدين - المعجزة الخالدة - ص (٢٢٩) - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م - مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة .

٢ - دقة التشبيه في القرآن الكريم :-

فهو يصف ويمعن في الوصف حتى تصبح الصورة دقيقةً أخاذةً ، قال تعالى ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (١) . فالقرآن الكريم لم يكتف بوصف الجبال بالعهن ، بل قيده بقوله العهن المنفوش دلالة على هشاشته ورقته .

٤ - الدقة الفائقة في اختيار الألفاظ الدقيقة المصورة الموحية :-

تأمل وصف القرآن الكريم للموج ، قال تعالى ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ (٢) . وقوله تعالى ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل يدعو الله مخلصين له الدين﴾ (٣) . ففي الصورة تعبير عن العناية الإلهية بالسفينة رغم أنها تجري بهم في موج كالجبال من حيث العظمة . أما الثانية فهي صورة لما يحصل لمن ركب البحر أن الموج يغشاهم من فوقهم يظلل الرؤوس ورغم ذلك هم يهلعون ويخافون ويدعون ربهم فهم يذكرون الله في الشدة وينسونه في الرخاء . بخلاف أصحاب السفينة الأولى فقد كانوا يذكرون الله في الرخاء فأحاطهم بعنايته في الشدة رغم عظم الهول الذي هم فيه . ولكل موقف تصويره الذي يوحى به . فالآية الأولى موقف اطمئنان وتسليم بقضاء الله وقدره . وفي الآية الثانية موقف هلع وخوف ورهبة ، فكان التشبيه يتناسب في تصوير كل حالة حسب حال تلك الحالة (٤) .

(١) - سورة القارة : ٥

(٢) - سورة هود : ٤٢

(٣) - سورة لقمان : ٢٢

(٤) - انظر - حسن ضياء الدين عتر - المعزة الخالدة - ص(٢٢٩) .

- وانظر - د . بكري شيخ أمين - التعبير الفني في القرآن الكريم ص(١٩٤) .

٥ - أن المشبه قد يكون واحداً ويشبه بأمرين أو أكثر تثبيتها للفكرة في النفس : -

ومن ذلك تصويره المنافقين واضطراب أمرهم ، فإن هذه الحيرة يشتد تصويرها لدى النفس ، وإذا هي استحضرت صورة هذا الساري قد أوقد ناراً تضيء طريقه ، فعرف أين يمشي - ثم لم يلبث أن ذهب الضوء ، وشمل المكان ظلام دامس ، ولا كيف يتخذ سبيله فهو يتخبط ولا يمضي خطوة حتى يرتد خطوات ، قال تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ (١).

" هدف التشبيه "

يهدف التشبيه إلى التأثير في العاطفة فترغب أو ترهب ، ومن أجل هذا كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي يزيد نفسيتهم وضوحاً ويصور وقع الدعوة على قلوبهم ، وما كانوا يقابلون تلك الدعوة من النفور والإعراض ، يصور لنا حالهم وقد استمعوا لدعوة الداعي ، فلم تُثر فيهم تلك الدعوة رغبة في التفكير فيها لمعرفة ما قد تنطوي عليه من صدق ، وما يكون فيها من صواب بل يحول بينهم وبين ذلك الكبر والأنفة ، وما أشبههم حينئذ بالرجل لم يسمع عن الدعوة شيئاً ولم يطرق أذنه عنها نبأ ، بل كان أشبه بمن في أذنه صمم ، فهو لا يسمع شيئاً مما يدور حوله ، بمن أصيب بالعمى فهو لا يرى الحق ، وبذلك شبههم القرآن فقال تعالى ﴿ ويل لك أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ (٢).

(١) - سورة البقرة : ١٧

(٢) - سورة الجاثية : ٧ - ٨

وقال تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ (١) . أما ما يشعرون به عندما يسمعون دعوة الحق فضيق يملأ صدورهم - كهذا الضيق الذي يشعر به الصاعد جبلاً ، فإن الإنسان كلما ارتفع الى الأعلى تقل نسبة الاكسجين في الجو فيحس بالضيق (٢) ، وهكذا صور القرآن ضيق صدورهم ، بقوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (٣) . ومادام هؤلاء القوم لا يستخدمون عقولهم فيما خلقت له ، ولم تصنع أذانهم إصغاء من يستمع ليتدبر ، فقد وجد القرآن في الأنعام شبيهاً لهم يقرنهم بها ، وليعقد بينهم وبينها وثيق الصلات ، قال تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (٤) .

رأينا كيف مُهّد لهذا التشبيه ، التمهيد الصالح - فجعل لهم قلوب لا يفقهون بها ، وأعيناً لا يبصرون بها - وأذاناً لا يسمعون بها - ونراهم في أنفسنا بمنزلة البهائم لذا فإن التشبيه لا غرابة فيه .

(١) - سورة البقرة : ١٧١

(٢) - انظر عبدالمجيد الزنداني - كتاب التوحيد - ١ / ٧٥ . الطبعة الثانية - ١٤٠٩ - مطبعة طيبة - المدينة المنورة

(٣) - سورة الانعام : ١٢٥

(٤) - سورة الاعراف : ١٧٩

وقد يهدف التشبيه في القرآن الكريم إلى التصوير أحياناً ليزداد التأثير قوة قال تعالى ﴿ ولله غيب السموات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ (١) .

فقد أراد القرآن الكريم أنه يبين قدرة الله عزوجل على أن يأتي بيوم القيامة بأسرع مما يتصور المتصورون اختار أسرع ما يراه الرائي - فاتخذ مثلاً يؤدي إلى الهدف المراد ، ثم يقرب أمر البعث الى الالذهان بتوجيه النظر إلى بدء الإنسان وأن هذا البعث صورة من هذا البدء ، فيقول تعالى ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ (٢) . وهكذا نرى أن من طبيعة التشبيه القرآني تمثيل الغائب حتى يصبح حاضراً ، وتقريب البعيد النائي حتى يصير قريباً دانياً (٣) .



(١) - سورة النحل : ٧٧

(٢) - سورة الأعراف : ٢٩

(٣) - انظر حسن ضياء الدين متر - المعجزة الخالدة - مرجع سابق - ص(٢٤٠ - ٢٤١) .

- انظر بكري شيخ أمين - التعبير الفني في القرآن - مرجع سابق - ص(١٩٥) وما بعدها .

" الجدل في القرآن الكريم "

أولاً :- تعريفه :-

في اللغة :-

الجدل في اللغة يطلق على ثلاثة معان (١) :

الأول :- القوة والغلبة ، والصلابة ، يقال جدله ويجدله أحكم نقله ، والجَدِلُ الشديد في كل عضو أو عظم مثل الساق . والحيوان إذا قوي واشتد قيل له جَدِلٌ ، وأما الصقر فهو الأجدل لشدته .

الثاني :- ايقاع شيء في شيء : كالاخضرار في العود ، أو الحبة في السنبلة، يقال مجادل إذا خضر البلح واشتد قبل أن يشتد ، وجدل الحب في السنبلة وقع .
الثالث :- اللد في الخصومة مع القدرة عليها ، ومنه الجَدِلُ قَوِي الحركة.
يقال جادله فهو جَدِلٌ ومجدل - ومجدال - كمنبر ومحراب .

(١) - انظر :- القاموس المحيط - الفيروزبادي - ج٢ - ص(٢٤٦، ٢٤٧) .

- ابن منظور - لسان العرب - ج١١ - ص(١٠٥) .

- ابن فارس - مقاييس اللغة - ج١ - ص(٤٢٢) .

- الراغب الاصبهاني - المفردات - ص(٨٩ - ٩٠) .

- الزمخشري - أساس البلاغة - ص(١١١) .

وفي الاصطلاح :-

قال ابن سينا في « الشفاء »^(١) كتاب الجدل مانصه " أما المجادلة فهي مخالفة تبغي إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور " .

وقال صاحب المصباح المنير^(٢) " استعمل الجدل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها " .

وقال الجورجاني^(٣) : " الجدل عبارة عن مرء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها " وقال أبوا البقاء^(٤) : الجدل عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة ولا يكون إلا بمنازعة غيره " ويعرفه آخرون أنه " عبارة عن قدرة كلاميه وبراعة حجاجية قد تستخدم لإثبات الحق لو تآقت النفس الى سلوك الخير ، أو للتشبيث بالباطل لو نزعت الى اتباع الهوى^(٥) " .

نستنتج مما سبق ان الجدل يكون فيه الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال إدعاءه وإتباع دعوى المتكلم .

(١) - ابن سينا - الشفاء كتاب الجدل - ج١ - ص(٢٣) .

(٢) - المصباح المنير - ص(٢٨) .

(٣) - التعريفات ص(٦٦) .

(٤) - الكليات لأبي البقاء - ص(١٤٥) . نقلاً عن زاهر عواض الملعي - مناهج الجدل ص(٢٤) .

(٥) - انظر محمد التومي - الجدل في القرآن الكريم فعاليتيه في بناء العقلية الاسلاميه ص(١٤) - ١٤٠٠هـ -

الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس .

فهل الجدل في القرآن الكريم بهذا المعنى الذي سبق ذكره ٩ .

إن الجدل في القرآن الكريم يعني نقاشاً بين خصمين ، أو طرفين معلومين أو أحدهما معلوم والآخر متوهم من حيث الأطراف ، (أطراف النزاع) ، ومن حيث المعنى فقد بنى القرآن الكريم معاني الجدل على اعتبار أصله اللغوي القوه والغلبة واللد في الخصومة ، ومحاولة إسقاط الرأي أو إسقاط رأي الأخر وإلزامه به أو إسكاته عنه (١) .

والقرآن الكريم نجده حينما يشير الى الجدل يذكر أنه منزع جبلي في الإنسان قال تعالى " ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً " (٢) .

ونلفت النظر إلى حقيقتين مهمتين هما :-

١- إن القرآن الكريم وهو يضع القواعد التي تحيل الجدل إلى صورة هادئة من الفكر والخلق ، وإلى أسلوب رشيق جذاب ، إنما ينظر إلى الخصوم نظرة اشفاق لانظرة استعلاء ولاعداء ، فهو كتاب دعوة وهداية ، على الرغم من وصفه لهم بالفجاجة العقلية ، والقصور في المدارك والقدرات الذهنية إلا أنه يرفق بهم أشد الرفق .

(١) - انظر عبدالله يوسف الشاذلي - مدخل إلى الاستدلال القرآني - ص(٨٢) .

(٢) - سورة الكهف آية رقم (٥٤) .

الثاني :- لقد اعتبر القرآن الكريم الجدل بهذا الشكل الحسن ضرورة تحتاج إليها بعض النفوس كوسيلة في الإقناع .^(١)

وقد ورد الجدل في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ^(٢) :-

- أ - الحجج والادلة والبراهين الواردة لتثبيت العقيدة .
- ب - ماورد بطريقتي الحوار والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر الى العظة والعبرة - أو الترجي والدعاء .
- ج - ماورد على ألسنة الكفار من شبه ودعاوي باطلة حكاها القرآن وبين بطلانها أو دحضها قال تعالى " وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق " ^(٣) .

فمن طرق الاستدلال القرآني :-

- ١- السبر والتقسيم .
- ٢- الاستفهام التقريري .
- ٣- الأقيسة الاضمارية .
- ٤- قياس الخلف .
- ٥- قياس التمثيل .

(١) - المرجع السابق - ص(٨٦) .

(٢) - زاهر عواض اللمعي - مناهج الجدل في القرآن - ص(٢٥-٢٦) .

(٣) - سورة غافر : (٥) .

ومن موضوعات الجدل :-

- ١- الجدل في إثبات وجود الله .
- ٢- الجدل في إثبات وحدانية الله .
- ٣- الجدل في إثبات الرسالات والوحي الإلهي .
- ٤- الجدل في إثبات البعث والجزاء .

وسأحاول في الصفحات التالية أن أتعرض لكل من طرق الاستدلال ، وموضوعات الجدل في القرآن الكريم ، بشيء من الإيضاح الموجز .

من طرق الاستدلال القرآني مايلي :-

١- السبر والتقسيم :

وهو حصر أوصاف الموضوع الذي يجادل فيه ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوّغ قبول الدعوى فيه فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع ^(١) .

قال ابن الأنباري في شرح البرهان :-

" السبر يرجع إلى اختبار أوصاف المحل " ^(٢) .

(١) - انظر زاهر عواض الملعي - مناهج الجدل - ص(٧٦) .

(٢) - الشوكاني - ارشاد الفحول - ص(٥٤) .

ومن أمثلة السبر والتقسيم (١) . في القرآن الكريم قوله تعالى :-

" ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، قل أ لذكورين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ، ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين قل أ لذكورين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ، فمن أظلم ممن إفتري على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين " (٢) .

ففي الآية الكريمة السابقة نجد أن الكفار لما حرّموا ذكور الأنعام تارة واناثها اخرى ، رد الله عليهم ذلك بطريقتي السبر والتقسيم فقال إن الخلق لله تعالى خلق من كلّ زوج مما ذكر ﴿ ذكراً وأنثى ﴾ فمّم جاء تحريم ما ذكرتم أي ماعلّة ، لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الانوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما ، أولاً يدرى له علة وهو التعبدى بأن أخذ ذلك عن الله تعالى - والأخذ عن الله تعالى إما بوحى أو إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه وهو معنى قوله ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ﴾ . فهذه وجوه التحريم عن واحد منها - والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً ، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الأناث حراماً ، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً ، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حاله - وبعض في حالة اخرى لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم - والأخذ عن الله بلا واسطة وهذا باطل ولم يدعوه ، وبواسطة رسول كذلك ، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ وإذا بطل جميع ذلك ثبت أن ما قالوه افتراء على الله وضلال (٣) .

(١) - ذكره السيوطي في الإتقان - ج٢ / ص(١٢٦) .

(٢) - سورة الانعام آيه رقم : (١٤٣ - ١٤٤) .

(٣) - السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - ج٢ ، ص(١٢٦-١٢٧) .

٢- الاستفهام التقريري :

وهو الاستفهام عن المقدمات البيّنة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل. وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات أو أن تكون معروفة عنده ، فإذا كانت بيّنة معروفة كانت برهانية^(١) .

ومن أمثله قوله تعالى : " ألم نجعل له عينين ولساناً وشففتين ، وهدينه النجدين " (٢) .

٣- الأقيسة الإضمارية :-

وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبىء عن المحذوف والناظر والمستقرى لأدلة القرآن يرى أن أكثرها قد حذفت منه إحدى المقدمات^(٢) .
﴿ إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهي طريقة القرآن ﴾^(٤) .
ومن أمثله قوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾^(٥) .

(١) - انظر محمد علي سلامة - منهج الفرقان في علوم القرآن - ص(٢٠) .

(٢) - سورة البلد آية رقم (٨ - ١٠) .

(٣) - انظر : زاهر عواض اللمعي - مناهج الجدل - ص(٧٦) .

(٤) - شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٢) .

(٥) - سورة آل عمران آية رقم (٥٩ - ٦٠) .

ففي الآية الكريمة نجد مقدمة اخرى قد حذفت ، فكأن السياق لهذا الدليل (من غير كلام الله) يكون :- إن آدم خلق من غير أب ولا أم - وعيسى خلق من غير أب فلو كان عيسى إلها بسبب ذلك لكان آدم أولى ، ولكن آدم ليس ابناً ولا إلهاً. وإن الحذف قد صيّر في الكلام طلاوة وأكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلاً مأثوراً يعطي الكلام حجة في الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه ، وإنما خلق من تراب فلا عزة إلا لله تعالى (١) .

أ - قياس الخلف :-

وهو اثبات لأمر بإبطال نقيضة ، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما ، كالمقابلة بين العدم والوجود .

ودليل الخلف أن يبطل النقيض فيثبت الحق ، وأن القرآن الكريم حينما يريد إثبات عقيدة التوحيد يتجه في الاستدلال إلى إبطال ما عليه المشركون فيبطل عبادة الاوثان ويثبت عقيدة التوحيد .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ (٢) .

ويسمي علماء الكلام هذا الدليل دليل التمانع - أى إمتنعت الوثنية لامتناع الفساد فكانت الوجدانية . (٣)

(١) - محمد ابو زهرة - المعجزة الكبرى - ص(٢٣٨)

(٢) - سورة الانبياء آية رقم (٢٢)

(٣) - محمد ابو زهرة - المعجزة الكبرى - مرجع سابق - ص(٢١٤) .

ب - قياس التمثيل :-

وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر ، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدّعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وبين الجهة الجامعة بينهما . وقد سلك القرآن الكريم في استدلاله بهذا المسلك على أدق وجه وأحكمه مقرباً ما بين الحقائق القرآنية ، والبدهة العقلية . وكثير من استدلالات البعث تقوم على تقريب البعث وقدرة الله عليه بما يرون من إنشاء الله لذلك الكون البديع ، وخلق الانسان وبيان اطواره ، من أصلاب الآباء الى أرحام الأمهات ، إلى أن يكون خلقاً سوياً ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (١) .

تأمل قوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾ ، قال من يحي العظام وهي رميم ، قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٢) . وقوله تعالى ﴿ أفبعينا بالخلق الأول ﴾ ، بل هم في لبس من خلق جديد ﴾ (٣) .

تجد أن هذه الآيات قد عقدت مشابهة بين ابتداء الخلق واعادته في أبلغ تعبير وأسلم تقرير ، فإن في هذه الأمثلة وغيرها مما اشتمل عليه القرآن الكريم قياس مافي الغيب على المشاهد ، وقياس ما بينه الله تعالى وأوجب الايمان به على ما هو واقع مرئي مشاهد وفيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى ، وأنه المالك لما هو واقع ، والقادر على ما لم يقع الآن ويقع مستقبلاً كما وعد ، والله لا يخلف الميعاد (٤)

(١) - سورة المؤمنون : ١٤

(٢) - سورة يس : ٧٨ - ٧٩

(٣) - سورة ق : ١٥

(٤) - انظر محمد ابوزهرة - المعجزة الكبرى - ص(٢٤٤ - ٢٤٥)

- انظر زاهر الالمعي - مناهج الجدل - ص(٧٨ - ٧٩)

" من موضوعات الجدل في القرآن مايلي "

١ - الجدل في إثبات وجود الله عز وجل (١) :-

وقد جاء هذا في القرآن الكريم من عدة محاورات :-

- منها محاورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام للنمرود .

- منها محاورة موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون .

وعلى طريقة القرآن الكريم في المحاورة يمكن مجادلة الماديين والملحدين .

وإذا نظرنا إلى النصوص القرآنية لن نجد هدفها يوماً من الأيام الإيمان بوجود الله تعالى ، لأن الإيمان بوجود الله تعالى ضرورة حتمية وبدئية ، لا تقبل الفطرة الإنسانية الأخذ والرد فيها وإن انحرفت بعض الفطر الإنسانية ومالت إلى الجحود فهذا لا يعني عدم الإحساس بوجود الله - ولكنها أصيبت بنكسات قلبية أودت بها في المتاهات المظلمة - ولم تستخدم ماوهب الله لها من تفكير للنظر في الكائنات والتبصر في الموجودات لتستدل به على خالق هذا الكون ومدبره .

والقرآن الكريم وهو يرد على هؤلاء الملاحدة لا يناقشهم في جهلهم وتفاهة تفكيرهم ، إنما يهددهم وهو يرسم لهم مشهداً مرعباً وهم معرضون أمام الله ، جاثون مع الجاثين منتظرون ساعة الفصل : يقول الله تعالى ﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم إلا أن قالوا انتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ، وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون ﴾ (٢) .

(١) - انظر زاهر الالمعي - مناهج الجدل - ص(١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) - سورة الجاثية : ٢٤ - ٢٨

بل إن سورة الجاثية كلها لا تكتفي بالرد على دعوى الدهريين فحسب ولكنها تمضي في تهديدهم بتصوير مشاهد القيامة المفزعة وأنهم لا يخرجون من النار ، ولا يشعرون - وما ذلك إلا لأن هذا الوهم محض كبر مسيطر على النفوس أعمى الفطرة عن الاعتراف بحقيقة الوجود الالهي ، مما جعل السورة تختتم بهذا القول الجامع ^(١) ﴿ فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ ^(٢) .

ويلخص الشهرستاني دعواهم في قولهم ﴿ نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ إشارة الى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصراً للحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر " ^(٣) . هذا زعمهم وهذه دعواهم التي لا يقوم عليها سوى الانحراف .

٢ - الجدل لإثبات وحدانية الله :-

لقد سلك القرآن الكريم في استدلاله على وحدانية الله مسلكين :-

المسلك الأول :-

الاستدلال على ذلك بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ومن أبرز الأدلة في ذلك ما يسميه علماء الكلام دليل التمانع وهو بمعنى قياس الخلف - وقد سبق الحديث عنه ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذأ لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾ ^(٤) .

(١) - انظر زاهر الملعي - مناهج الجدل - ص (١٣٤ - ١٣٥)

(٢) - سورة الجاثية : ٢٦ - ٢٧

(٣) - الشهرستاني - الملل والنحل - ج ٢ ص (٢٣٥) بتصريف . (٤) - سورة الاسراء : ٤٢

المسلك الثاني :-

في التركيز على إبطال معبودات المشركين ، وبيان تفاهتها وأنها لا تخلق ذبابة ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرراً ، ولا تجلب لها نفعاً ، فكيف تملك لغيرها ضرراً أو نفعاً - وبيان تفاهة المشركين أيضاً عندما يعبدون هذه الأوثان - فإنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها جدل (١) . قال تعالى ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (٢) .

وقد أورد القرآن الكريم أمثلة كثيرة للجدال حول وحدانية الله وهي مذكورة الله عز وجل في قصة كل نبي من أنبيائه وما هو رد قومه وماذا كان يدعو إليه . وهي قصص وردت في القرآن الكريم على وجه التفصيل والإجمال لكل من الأنبياء والرسل سواء منهم أولى العزم من الرسل أم غيرهم وقد سبق أن أشرت إلى شيء من هذه القصص خلال المبحث الثاني من هذا الفصل .

٣ - الجدل حول إثبات الرسالات :-

وكما أورد القرآن الكريم ما حصل من جدل بين الأنبياء والرسل وأقوامهم لأثبات وحدانية الله عز وجل . كذلك فقد أورد القرآن الكريم ما حصل من جدل بين الأنبياء والرسل مع أقوامهم لإثبات أنهم مرسلون من الله عز وجل ، فهم الصفوة المختارة من خلق الله اختارهم الله لإبلاغ رسالته ووضعهم في مواجهة التحديات لعلمه المسبق سبحانه بهم ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٣) .

(١) - انظر زاهر الالعي - مناهج الجدل - ص (١٥٩ - ١٦١) .

(٢) - سورة العنكبوت : ٤١ (٣) - سورة الانعام : ١٢٤

وقال تعالى ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالمكم من إله غيرهِ إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملائكة من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لاتعلمون ، أوعجبتُم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ، فكذبوه فأنجياه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين ﴾ (١) .

يتضح مما سبق الصراع الفكري الذي دار بين نبي الله " نوح " عليه الصلاة والسلام وقومه مما يشهد له بإبلاغ رسالة الله ، لقد دعا " نوح " عليه الصلاة والسلام قومه إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبد من دونه ، دعاهم إلى الإيمان برسالته ، والسمع والطاعة له فيما يبلغهم من شريعة الله فكان لنوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة مطالب :

الأول :- إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة الأصنام .

الثاني :- تقوى الله والخوف من عقابه وانتقامه منهم إذا كذبوا رسله .

الثالث :- طاعته وتصديقه في كل ما يبلغ عن الله تعالى ، لأنه رسول من الله والرسول

يطاع ويتبع ، وقد قابله قومه بالكذب لرسالته واتهامه بأنواع المفتريات .

ومن الشبه التي ذكروها على نوح عليه الصلاة والسلام مايلي :-

قالوا :- إنه بشر ومعنى هذا أن الرسالة لاتكون لبشر إذ لو أراد الله أن

يرسل رسولاً لجعله من الملائكة فكيف يدعي الرسالة رجل من البشر ؟ والرد على

هذه الشبهة أن الله عز وجل هو الخالق وهو الاله الحق - فله أن يأمر عباده بأشياء

وينهاهم عن أشياء .

(١) - سورة الاعراف : ٥٩ - ٦٤

ولا يخاطبهم الله بتلك التكاليف من غير واسطة - ولا يكون الرسول من الملائكة لاختلاف طبيعة الملائكة عن البشر ، وإن جاءهم في صورة بشر حصل لهم اللبس أيضاً ﴿ ولوجعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مما يلبسون ﴾ (١)

فالغراية تكون أشد لو كان ملكاً في صورة رجل . فما كان رد " نوح " عليه الصلاة والسلام إلا أن قال لهم ﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴾ (٢) .

أتهموه بالجنون فقالوا ﴿ إن هو إلا رجل به جنّة فتربصوا حتى حين ﴾ (٣) .

ولكن المجنون لا يأتي بما فيه الرشد والسعادة ولا يقيم الحجج والبراهين علي ما ادّعاه .

وكان أسلوبه معهم في كثير من الأحيان يتسم بطابع الهدوء وقدم التلطف فقد كانوا يجابهونه بفظاظة القول (٤) كقولهم ﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾ (٥) .

وكان جوابه ﴿ يا قوم ليس بي ضللة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (٦) .

لقد جادلهم نوح عليه الصلاة والسلام حتى قالوا له ﴿ يأنوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ (٧) .

وقد حصلت أنواع من المجادلات مع هود وصالح وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وقد حكاها لنا القرآن تفصيلاً ولا يتسع المقام لذكرها .

(١) - سورة الانعام : ٩

(٢) - سورة الاعراف : ٦٣

(٣) - سورة المؤمنون : ٢٥

(٤) - سورة الاعراف : ٦٠

(٥) - أنظر زاهر الالعي - مناهج الجدال - ص (٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠) .

(٦) - سورة الاعراف : ٦١ - ٦٢

(٧) - سورة هود : ٣٢

” الجدل حول البعث والجزاء ”

إن من منهج القرآن الكريم في استدلاله على البعث كما يلي : -

أولاً : الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم - كما أخبر الله تعالى

عن ذلك ومنهم : -

أ - قوم موسى عليه الصلاة والسلام :

قال تعالى ﴿ وإذا قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ (١) .

ب - ومن بني اسرائيل الذي ضُرب بعضو من أعضاء البقرة قال تعالى ﴿ وإذا

قتلتم نفساً فادّارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها

كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ (٢) .

ج - قصة أصحاب الكهف .

د - قصة إحياء الطير عندما طلب ابراهيم عليه الصلاة

والسلام من ربه عزوجل أن يريه كيف يحيى الموتى .

هـ - إحياء عيسى عليه الصلاة والسلام الموتى بإذن ربه .

ثانياً :- الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى :

١- قال تعالى ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من

تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر

في الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخركم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من

يُتَوَفَّى ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ،

(١) - سورة البقرة : ٥٥ - ٥٦

(٢) - سورة البقرة : ٧٢ - ٧٣

وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴿ ١ 〉 .

وقال تعالى ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٢) .

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير وقتادة : جاء أبي بن خلف - لعنه الله - إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفتنه ويذّره في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا - قال رسول الله ﷺ : " نعم يميّتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار " (٣) . ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس .

(١) - سورة الحج : ٥ - ٧

(٢) - سورة يس : ٧٨

(٣) - انظر تفسير ابن كثير - ج ٣ - ٥٥٨

ثالثاً :- الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان ، مثل

السموات والأرض - فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان :-

١- قال تعالى ﴿ وقالوا إذا كنّا عظاماً او رفاتاً ، أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً ، أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ﴾ (١) .

٢- قال تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (٢) . وهذه الآيات برهان عظيم على قدرة الله المطلقة التي لا تقيد بقيود ولا تنتهي عند حدود ، فإن تلك الآيات الكونية مما هو معروف ببدهة العقول، إن خلقها أعظم إعادة ؟ من إعادة خلق الانسان (٣) .

رابعاً :- الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة (٤) :

١ - قال تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه الى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ (٥) .

٢- قال تعالى ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ (٦) .

(٢) - سورة يس : ٨١

(١) - سورة الاسراء : ٩٨ - ٩٩

(٣) - أنظر زاهر الالمعي - مناهج الجدول - ص(٢٢٦) .

(٤) - أنظر زاهر الالمعي - مناهج الجدول - ص(٢٢٦) .

(٥) - سورة فصلت : ٢٩

(٦) - سورة فصلت : ٢٩

خامساً :- الاستدلال على إمكان البعث بحصول أحد المتضادين :-

فإن الأحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث أنه يحصل الضد بعد حصول الضد إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله تعالى لأنه لما جاز حصول الموت عقب الحياة فيكف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت لأن حكم الضدين واحد^(١) .
قال تعالى ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴾^(٢) .

سادساً :- الاستدلال على إمكان البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر^(٣) :-

قال تعالى ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾^(٣) .

سابعاً :- الاستدلال على إمكان البعث بأن اختلاف الناس في الدنيا لا يرتفع واختلاف

المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق نفسه^(٤) .

فوجب أن يكون هناك معاد ينحسم فيه النزاع ولا يكون ذلك إلا بين يدي الحي القيوم ، قال تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾^(٥) .

(١) - سورة الواقعة : ٦٠

(٢) - (٤) - زاهر العلمي - مناهج الجدل - ص(٢٢٨) .

(٥) - سورة النحل : ٢٨ - ٢٩

ثامناً : - الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعده يقتضيان البعث والجزاء^(١) : -

قال تعالى ﴿ أَيْحَسِبِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سَدًى ﴾^(٢) .

قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾^(٣) .

تاسعاً : - الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم فإن النوم أخو

الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت^(٤) :-

قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ

لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) .

وقال تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٦) .

(١) ، (٤) - زاهر الامعي مناهج الجدل - ص (٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢) .

(٢) - سورة القيامة : ٢٦

(٣) - سورة المؤمنون : ١١٥

(٥) - سورة الانعام : ٦٠

(٦) - سورة الزمر : ٤٢

" إعجاز الجدل "

إن الجدل في القرآن الكريم اعتُبر عند الكثير من العلماء وجهاً من وجوه الإعجاز ، باعتباره من طرق القرآن البيانية ، ومن أساليبه في تقرير الحقائق العلمية ، وتوضيح المسائل العقائدية .

واتفق فيه ايضاً أستنباط الأدلة التي توافق العقول ، وموافقته ماتضمنه لأحكام العقل على وجه يبهر ذوي العقول ، ويحيرهم فإن الله بيّنه ، على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعناه وجهد بالألفاظ سهله قليلة تحتوي على معان كثيرة (١) .

قال القاضي عياض : " ومنها جمعه العلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة ، بمعرفتها ، ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج . العقلية - والرد على فرق الأمم ببراہين قوية ، وأدلة بينة سهلة الألفاظ - موجزة المقاصد - رام المتحذلقون بَعْدُ أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدرُوا عليها (٢) . قال تعالى ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (٣) .

" بل أقر الكل على أنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ماورد في القرآن الكريم " (٤) .

(١) - محمد ابراهيم الصنعاني - ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان - ص (١٩) .

(٢) - القاضي مياض - الشفاء - ١ / ٢٢٧

(٣) - سورة يس : ٨١

(٤) - الصنعاني - ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان - ص (٢٠) .

ويبدو أن الوجه المعجز في موضوع الجدل القرآني الذي بهر العلماء والمفكرين من المسلمين يتمثل في وضوح الأدلة وسهولة صياغتها وإيجاز ألفاظها ويسر فهمها وفي بعدها عن التعقيدات والجفاف (١) .

قال الزركشي " واعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والادلة ومامن برهان ودلالة وتقسيم ، وتحديد شيء من كلياته العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به ، لكن أورده الله تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق احكام المتكلمين لأمرين :-

أحدهما : - السبب فيه قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (٢) .

الثاني : - أن المائل إلى دقيق الحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالدليل من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الاكثرون لم ينحط للأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ، ولم يكن مُلغِزاً . فأخرج تعالى مخاطباته في حاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق تعبير لتفهم العامة من جليلها مايقنعهم ويلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء﴾ (٣) .

(١) - محمد التومي - الجدال - ص (١٦٧) .

(٢) - سورة إبراهيم : ٤

(٣) - انظر الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ٢ / ٢٤

" التأثير في جسد القرآن "

إن القرآن الكريم في جداله يخاطب العقل والوجدان ، إذ يأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً وهذا ما لا يتوفر في أسلوب غير أسلوب القرآن، " فائدة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل أنسان بخلاف أدلة المتكلمين فإنها ينتفع بها أحاد الناس ويستتضر منها الأكثرون " (١) ، { فقد عُرِفَ كلام العلماء والحكماء ، وعُرفَ كلام الأدباء والشعراء فلا تجد إلا غلوا في جانب وقصوراً في جانب ، فالحكماء مثلاً يقدمون لك ثمار عقولهم وعصارة أفكارهم غذاءً لعقلك ولا تتوجه نفوسهم الى استهواء نفسك واختلاب عاطفتك .

والشعراء يقصدون إلى استثارة وجدانك وتهيج عاطفتك ولا يبالون بما صوره لك أن يكون غيياً أو رشداً أو أن يكون حقيقة أو تخيلاً وتراهم جادين وهم هازلون - يستبكون وان كانوا لا يبكون - ويطربون وأن كانوا لا يطربون، وصدق الله العظيم القائل ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم ترا أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ (٢).

والحقيقة أنه لا يوجد أحد تتكافأ فيه قوة التكفير وقوة الوجدان ، على السواء وعلى فرض وجود شيء من التعادل عند قليل من الناس فإنها لا تعمل في النفس دفعة واحدة بل تتناوب هذه القوى ، فإن الذي ينهمك في التفكير تتناقص قوة وجدانه ، والذي يقع تحت تأثير لذة أو ألم يضعف تفكيره .

أما القرآن الكريم فإنه كلام يأتي من الحقيقة البرهانية الصارمة بما يرضي حتى أولئك الفلاسفة المتعمقين ، ومن المتعة الوجدانية الطيبة بما يرضى حتى هؤلاء الشعراء المرحين .

(١) - انظر محمد ابو زهرة - المعجزة الكبرى - ص (٢٥٠) ، وهو قول للغزالي .

(١) - سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧

والله عز وجل قادر على أن يخاطب العقل والقلب معاً ، وأن يمزج الحق والجمال معاً ، وهذا ماتجده في كتاب الله عز وجل حيثما توجهت ، إنه لا ينسى حض العقل من حكمة وعبرة ، وإنه في معمعة براهينه وأحكامه لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق وتحذير وتنفير وتهويل وتعجب يثبت ذلك في مطالع آياته ومقاطعها { (١) .

قال تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾ (٢) .

فالتأثير في الجدل القرآني ميزة لا تنفك عنه وقد عدها البعض خصيصة من خصائص الجدل (٣) . وأيا كان فالجدل أحد موضوعات القرآن الكريم والتأثير صفة ملازمة لكتاب الله عز وجل كما وصفه هو سبحانه في الآية السابقة .



(١) - محمد عبدالله دراز - النبأ العظيم - ص (١١٢ - ١١٥) . بتصرف يسير .

(٢) - سورة الزمر : ٢٢

(٣) - انظر زاهر الالمعي - مناهج الجدل - ص (٤٢٥ - ٤٢٦) ، حيث عده ضمن خصائص الجدل القرآني - في الخصصية التاسعة .

" الترغيب والترهيب "

هذا الخطّان المتوازيان اتخذهما القرآن الكريم لإصلاح النفس البشرية ، فالقرآن الكريم قد عامل النفس البشرية معاملة دقيقة ، فنجد تارة يخوفها ويُرهبها ، وتارة يرغبها ويَعدها وبين الوعد والوعيد يفرس فيها كل البذور الصالحة التي يقصد إلى غرسها في قرارة النفس الإنسانية التي تريد لنفسها الخير والفلاح .

لو تأملنا آيات القرآن الكريم ونظرنا إليها نظرة تدبر وإمعان لوجدنا أن وسائله النفسية تتجه إلى النفس البشرية في اتجاهين أساسيين هما " الترغيب والترهيب " وبهما أثرٌ تأثيراً قوياً على أنشطة النفس الإنسانية (١) .

والمقصود بالترغيب هو كل مايشوق المدعو إلى الإستجابة وقبول الحق ، والمقصود بالترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الإستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله (٢) .

والقرآن الكريم يبدأ دائماً دائماً بالخير ويقدم الوسائل الترغيبية ليهدي البشرية لذلك فإن عنصر الرجاء هو أول العناصر التي سعى لها ووضعها بين يدي الإنسان ليعرف ربه ويؤمن بقدرته ، ويقتنع بأن ماعند الله خير وأبقى وأنه النافع لكل الناس .

والقرآن في سبيله إلى ترغيب الإنسان بدأ أولاً :-

بتحويل الرجاء من الآمال الواهية والقيم الزائفة الى القيم الحقيقية ، قيم الخير والإيمان ، بأساليب ترغيبية عديدة :-

(١) - احمد جمال العمري - مباحث في إعجاز القرآن - ص (٤٦ - ٤٧) بتصرف .

(٢) - انظر د . عبد الكريم زيدان - أصول الدعوة - ص (٤٣٧) ط٢ - ١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة بيروت .

١ - فهو لا يحرم المتاع الشريف ، ولا يدعو إلى الرهينة أو الانصراف عن شؤون الأرض « الدنيا » . بل يدعو الى ذلك المتاع ويستنكر تحريمه ، قال تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ (١) .

ولكنه لا يحب الانغماس في الشهوات فتفتن الناس عن القيم الحقيقية الباقية الخالدة ، فهذه الشهوات وهذا المتاع الدنيوي زائل . قال تعالى ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عن ربك ثواباً وخيراً ملاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ﴾ (٣) . والقرآن الكريم حينما يرغب يفتح أبواب الرجاء حيث النعيم المقيم الخالد الأبدي الذي لا يزول .

والقرآن الكريم حينما يعد الإنسان النعيم فإنه لا يكتفي بالنعيم الحسي أو بالنعيم المعنوي بل يقرنهما ويمزجهما لكي يحقق كل انسان مراده ، تأمل قول تعالى في وصف أهل الجنة ﴿ على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، باكوب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحورعين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ (٤) . فالآيات السابقة قد ذكرت أشد أمور النعيم حسية ، ثم يأتي بعدها قوله تعالى ﴿ جزاءً بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قِيلاً سلاماً سلاماً ﴾ (٥) .

وكذلك في أغلب آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن النعيم في الآخرة نجدها تقرن النعيم الحسي بالمعنوي .

(١) - سورة الاعراف : ٣٢ (٢) - سورة الكهف : ٤٦

(٢) - سورة النساء : ٧٧ (٤) - سورة الواقعة : ١٥ - ٢٤

(٥) - سورة الواقعة : ٢٤ - ٢٦

وأعلى درجات النعيم التي يذكرها القرآن الكريم هي التي يكون فيها النعيم معنوياً ، تأمل قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ (١) . فالنعيم نراه يرتفع ويسير حتى يصبح وداً من الله تعالى لعباده ، أروع مظاهر المتاع ، وأبلغ أنواع الترغيب في الإيمان بالله ، وفي تقديره حق قدره وتعظيمه جل شأنه (٢) .

وفي مجال التهيب نجد أن القرآن الكريم ينفذ كل خوف فاسد ، فهو أولاً ينفذ من وتر الخوف كل ما يرهق كاهل الانسان من مخاوف زائفة - ينفذ عنه الخوف من الموت ، فالخوف من الموت لا يؤخر الأجل - ولا يغير من المكتوب شيئاً:-

قال تعالى ﴿ إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ (٤) .

ونجده كذلك يزيل خوف الإنسان على الرزق :-

قال تعالى ﴿ وفي السماء رزقكم وما تعدون ﴾ (٥) .

ويزيل الخوف من مكر الناس وأذا هم - قال تعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب

الله لنا ، هو مولانا - وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (٦) .

(١) - سورة مريم : ٩٦

(٢) - انظر احمد جمال العمري - مباحث في اعجاز القرآن . ص (٥٤ - ٥٩) بتصرف .

(٣) - سورة المنافقون : ١١

(٤) - سورة العنكبوت : ٥٧

(٥) - سورة الذاريات : ٢٢

(٦) - سورة التوبة : ٥١

وبالمقابل فإنه يزرع الخوف الحقيقي من أمور حقيقية :-

- فيخوفهم من النار :قال تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١)
- والقرآن في هذا المجال أيضاً نجده يمزج العذاب الحسي بالعذاب المعنوي تارة ﴿
- أي يقرن بين أمور حسية وأمور معنوية ﴾ .
- قال تعالى ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهِرُ بِهِ مَافِي بَطُونِهِمْ وَأَجْلُدُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِينَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾^(٢) .
- وتارة يغلب العذاب النفسي المعنوي ، قال تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾^(٣) .
- وتارة عذاب معنوي نفسي خالص : قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾^(٤) .
- وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ ﴾^(٥) .

(١) - سورة البقرة : ٢٤

(٢) - سورة الحج : ١٩ - ٢٢

(٣) - سورة الهمزة : ٦ - ٧

(٤) - سورة الانفطار : ١٩

(٥) - سورة عبس : ٢٤ - ٢٧

وقد يرتفع العذاب النفسي في بعض المواقع إلى قمة المعنويات :-

قال تعالى ﴿ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ (١) .

فالقرآن الكريم نظر إلى الناس كل حسب مواصفاته ومن ثم وقع القرآن على وتر الخوف جميع الطرق المؤثرة ، وجميع المستويات ليشمل الناس كلهم من جهة ويشمل كل واحد في جميع حالاته من جهة أخرى (٢) .

وهكذا يمسك القرآن الكريم بزمام النفس البشرية حتى يقوّمها فيعدها ويمنيها ويخوفها ويرهّبها ، فهو يبشّر وينذر ويرغب ويرهب ، وفيما بين ذلك الترغيب والترهيب يغرس فيها كل البذور الصالحة التي يقصد إلى غرسها في أعماق النفوس .



(١) - سورة البقرة : ١٧٤

(٢) - أحمد جمال العمري - مباحث في اعجاز القرآن - ص (٤٧ - ٥٢) .

العبرة والعظة " فيما حدث للمسلمين من أحداث في عهد الرسول ﷺ " :-

إن جميع الأحداث التي حدثت للرسول ﷺ ومن آمن معه من بدء الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة وسجلها القرآن الكريم من أعظم الاهداف لذكر هذه الاحداث وتسجيلها هو العبرة والعظة . وهذه الاحداث كثيرة والدروس والعبر التي تؤخذ من حدث قد تختلف في معظمها من الدروس والعبر في الحدث الآخر . وسأذكر في هذا المبحث حدثين : أحدهما عام والآخر خاص .

ولكل من الحدثين عبرة وعظاته . الأول : هو معركة أحد والثاني حديث الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك « غزوة العسرة » .

وقد أشار القرآن الكريم للحدث الأول في سورة آل عمران من الآية « ١٢١ » الى تمام ستين آية . بدءاً من قوله تعالى « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ، إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »^(١) إلى قوله تعالى « ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » - وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله - وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظيم ، ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم - بل هو شرلهم ، سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير »^(٢) .

(١) - سورة آل عمران : ١٢١ - ١٢٢

(٢) - سورة آل عمران : ١٧٩ - ١٨٠

ذكر العلامة ابن قيم الجوزية في ذلك حكماً وغايات شتى أذكر منها : -

١ - ان الله عزوجل عرفهم سوء عاقبة المعصية ، والفشل ، والتنازع وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك ، قال تعالى ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ﴾ (١) ، فكانت النتيجة بعد ذلك شدة حذرهم ويقظتهم وتحرزهم من أسباب الخذلان .

٢ - ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت أن يدالوا مرة ويدال عليهم مرة أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائماً ، دخل معهم المؤمنون وغيرهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ولو انتصروا عليهم دائماً ، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة .

٣ - ومنها : - أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر ، وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً ، فاقترضت الحكمة الإلهية أن يسبب لهم محنة تميز بين المؤمن والمنافق ، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة ، وتكلموا بما كانوا يكتُمونه ، وظهرت مخبئاتهم ، وعاد تلويحهم تصريحاً ، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق ، انقساماً ظاهراً وعرف المؤمنون أن لهم عدواً في نفس دورهم - وهم معهم لا يفارقونهم فاستعدوا لهم ، وتحرزوا منهم . قال تعالى ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وماكان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله مايشاء ﴾ (٢) .

(١) - سورة آل عمران : ١٥٢

(٢) - سورة آل عمران : ١٧٩

٤ - ومنها استخراج عبودية أوليائه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حال ظفر أعدائهم بهم فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون ويكرهون - فهم عبيده حقاً - وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

٥ - ومنها : - أن النصر الدائم يؤدي إلى طغيان النفوس وشموخها فلا يُصلح العباد إلا السراء والضراء - والشدة والرخاء والقبض والبسط .

٦ - ومنها أن الشهادة أعلى المراتب عند الله ، والشهداء هم خواصه والمقربون من عبادته ، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء ، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم .

٧ - ومنها أن معركة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم ، انقلابهم على أعقابهم - أن مات رسول الله ﷺ أو قتل ، بل الواجب عليهم أن يثبتوا على دينه ويموتوا عليه ، أو يقتلوا فإنهم إنما يعبدون رب محمد ، وهو حي لا يموت ، فلو مات محمد أوقتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه ، وكل ما جاء به ، فكل نفس ذائقة الموت ، وما بعث محمد ﷺ ليخلد لا هو ولا هم بل ليموتوا على الاسلام والتوحيد لذلك وبخهم على رجوع من رجع عن دينه (١) .

ماسبق ما هو إلا غيض من فيض القرآن الكريم في تربية أمته أمة محمد ﷺ أمة القرآن ، فهو يسوق ما حدث للمسلمين في آيات منه تشع بالنور والهداية ، وإذا أمعنا فيها النظر وجدنا تساوقاً عجيباً بين اللفظ والمعنى ، بين القلب والمحتوى ، وذلك بعض مواطن الاعجاز وهذا شأن القرآن الكريم كله .

(١) - ابن القيم الجوزية - زاد المعاد في هدي خير العباد - ٢ / ٢١٨ - ٢٢٤

" إن لالفاظ الآيات أشعة خاصة ، تغني ساحة المعاني ، بما تبرزه من صور الأحداث التي هي موضوع الآيات ومن خلجات النفوس التي حركتها هذه الأحداث فإذا القاري يرى ويسمع ويعتبر في آن واحد " (١) .

حديث الثلاثة الذين خلفوا :-

أما الحدث الثاني فهو ماجرى في شأن الثلاثة الذين ذكرهم الله عزوجل في سورة التوبة في قوله تعالى ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٢) .

وهؤلاء الثلاثة هم :- كعب بن مالك ، وهلال بن أمية الواقفي ، ومرارة بن الربيع

العامري " (٣) . لم يذهبوا مع الجيش الذي جهزه الرسول ﷺ وصحابته الكرام لقتال الروم في الشام.

وخلاصة سبب نزول هذه الآيات :-

أن كلاً من كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن مرة ، لم يخرجوا مع الجيش المتجه إلى تبوك في الغزوة التي سميت « غزوة العسرة » لما لقي المسلمون فيها من عناء وتعب ومشقة لحصولها في فصل الصيف .

(١) - محمد المجذوب - نظرات تحليلية في القصة القرآنية ص (١٣٢-١٣٣)، ١٣٩١هـ-مؤسسة الرسالة-بيروت.

(٢) - سورة التوبة : ١١٧ - ١١٩

(٣) - انظر مختصر تفسير ابن كثير - محمد نسيب الرفاعي - ج٢ - ص (٢٧٩ - ٢٨٠) .

وهؤلاء الثلاثة لم يمنعهم من الخروج عذر مشروع سوى إثثار الراحة والدعة ، وكان الذين تخلفوا في المدينة غير قليل ، إلا أنهم أحد رجلين ، إما رجل مغموصٌ في النفاق أو رجل ممن عذره الله عزوجل ، أما أشباہهم من جنود الإيمان وأهل السابقة ، فقد انتظموا في الركب الغازي ، هاجرين الظل والماء والثمار ، ليتحملوا مع قائدهم أعباء الحر والجوع وأصناف العناء ، إثثاراً لما عند الله من ثواب.

وبلغ الجهد بالغزاة المحتسبين أشده ، حتى كان الاثنان يقتسمان التمرة - والثلاثة يتداولون البعير وقدر أرهقهم العطش وإن الرجل لينحر بغيره ليعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ^(١) ليخفف من شدة الحر ، ولكن الله يسرّ لرسوله وللمؤمنين بهذه الغزوة { العسرة } أفضل النتائج - وعاد رسوله ﷺ إلى المدينة ومع الجيش فأقبل مرضى القلوب يعتذرون من تخلفهم ويتخلّقون المسوغات ، ويحلفون على ذلك فيقبل منهم علانيتهم، ويكل إلى الله السرائر . ثم جاء الثلاثة فأعلنوا أمام الملائكة أنهم تخلّفوا بدون عذر، بل لقد أكد بعضهم أنه لم يكن يوماً أقدر منه على السفر في ذلك اليوم ، فأخر الرسول ﷺ البت في أمرهم حتى يقضي الله فيهم .

واكتفى بعزلهم عن المجتمع الاسلامي ، ثم فصل بينهم وبين زوجاتهم مؤقتاً إلا زوجة هلال التي استأذنت الرسول ﷺ فأذن لها بذلك على أن لا يقربها ، وبقوا على هذه الحالة خمسين ليلة ما انقطعوا فيها عن البكاء ولم يستروحوا فيها نغمة عزاء ، وقد وصف الله نفسيتهم بقوله تعالى ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ ^(٢)

(١) - انظر مختصر ابن كثير - محمد نسيب الرفاعي - ج٢ ، ص (٢٧٩) .

(٢) - انظر المرجع السابق - ص (٢٨٠ - ٢٨١) .

فنزلت رحمة الله ببشريات المغفرة لهم ، واندفع الصحابة يركضون إليهم ليؤذنوههم بالفرح ، وليقرؤوا عليهم ما أنزل الله فيهم من آيات . التوبة ، فكان ذلك اليوم عليهم خير أيامهم منذ ولدتهم أمهاتهم^(١) .

إن العبر في القصة لعديدة ، ولا سبيل إلى استيفائها كلها إلا إذا أمكن تجميع الأحداث ، بحيث لا يقع غداً إلا ماوقع .

فمن هذه العبر والعظات في هذه القصة :

- ١ - أن غروة تبوك كانت مناورة لردع العدو الرومي عن حدود الدولة الإسلامية ، وفكرة الردع تحتاج إلى اعداد القوة الروحية التي تستهين بأهوال المشاق لصيانة الاسلام^(٢)
- ٢ - إن توبة الله على العبد أجلُّ الغايات ، وأعلى النهايات فإن الله جعلها نهاية خواص عباده وامتن عليهم بها ، حين عملوا الاعمال التي يحبها ويرضاها^(٣)
- ٣ - إن العبادة الشاقة على النفس ، لها فضل ومزية ، ليست لغيرها - «وكلما عظمت المشقة عظم الأجر»^(٤) .
- ٤ - إن من لطف الله بالثلاثة - أن وسمهم بوسم ، ليس بعار عليهم فقال : «خلفوا» إشارة الى أن المؤمنين خلفوهم ، أو خلفوا عن من بُثَّ في عذرهم ، أو في رده ، وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير^(٥) .
- ٥ - ومنها أن الله تعالى - منَّ عليهم بالصدق ، ولهذا أمر بالاعتداء بهم فقال «يا أيها الذين آمنوا» الآية^(٥) .

(١) - انظر محمد المجذوب - نظرات تحليلية في القصة القرآنية - ص (١٢٨)

(٢) - (٥ -) - عبدالرحمن بن سعدي - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ج ٢ ، ص (٢٩٤ - ٢٩٥) .

ولعل أهم عبر القصة أنها درس من أيام النبوة - فيه عبير الوحي ورحيق التربية الحمديدية ، التي قدّمت للتاريخ الإنساني النموذج الأكمل لأكمل أمه أخرجت للناس ، ومن أجل ذلك كان لزاماً على المسلمين أن ينتفعوا بايحاءاتها الربانية ليعرفوا كيف يصبرون على التزام المنهج الذي لاسبيل غيره إلى استعادة القيادة العالمية.

و حينما يقرأ المؤمن قصة الخلفين في الكتاب الحكيم ، وفي كتب السنة، ويحس بالقشعريرة تهزه ، وبالأفعال يهيجه حتى يفجر دموعه . وعندما يتساءل عن السبب يجد أن منه تلك الوشائج من قرابة الروح تصل بينه وبين ذلك الرعيل، فتجعله متجاذباً معه في كل حركاته وسكناته ، يبكي لبكائه ويضحك لضحكه ، وينفعل بتجاربه^(١) .

وهذا شيء يسير من تأثير تلك العبرة والموعظة في كتاب الله والتي كانت من خلال قصة الثلاثة .

(١) - محمد المجدوب - نظرات تحليلية في القصة القرآنية - ص (١٢٧ - ١٤٠) .

المبحث السابع :- " أمثلة تطبيقية لكل ماسبق على عدد من الآيات "

١- في التشبيه والتصوير :-

تأمل قوله تعالى ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع﴾ (١).

فإن التقدير : ومثل واعظ الذين كفروا .

فالمشبه الواعظ ، والمقصود تشبيه حال الواعظ لهم بالناعق في الأغنام التي لا تعقل معنى دعائه ، ولا تعي مايقول ، وإنما تسمع صوته ، ولا تفهم مايرمي إليه، وقدّر التشبيه بالأغنام التي ينعق بها الراعي ، ويمد صوته لعدّة وجوه :-

أولها :- أن المعنى : ومثل الذين كفروا كمثل الغنم ، لا تفهم نداء الناعق ، فأضاف المثل إلى الناعق ، وفي المعنى للمنعوق به وذلك على القلب . ولابن أبي الاصبع تعليق على ذلك : " جرت العادة عند أهل اللسان أنهم يقلّبون الكلام إذا أفاد قلبه فائدة لا يفيدها وهو على وجهه - والفائدة التي أفادها هذا القلب مجيء الكلام غير منفر عن الرسول متضمناً أدباً معه ، ﷺ ، فإن الكلام لوجاء على وجهه كما قيل أنفاً بحيث يقال ومثل الذين كفروا كمثل الضأن المنعوق بها ، وقيل الرسول الراعي لهم كمثل راعي الضأن الذي ينعق بما لا يسمع ، والتصريح بتشبيه الكفار بالضأن وهي عند العرب شر مال * ، وهذا منفر للرسول ﷺ وفي التصريح بتشبيه الرسول ﷺ بالراعي الذي ينعق بالضأن غض من مكانته ،

(١) - سورة البقرة : ١٧١

* استشهد على ذلك بقول البنت الصغرى من بنات ذي الاصبع العدوانى وقد سالها والدها عن مالها: فقالت : الضأن ، وكيف تجدونها قالت شر مال : جوف لايشبعن وهيم لا ينفعن ، صم لا يسمعن ، وأمر مغويتهن يتعبهن "بدیع القرآن-ص(١٣٦).

ومخالفة الأدب في مخاطبته ، وقد عُلِّمت مكانته عند ربه وتلطفه في مخاطبته ، وما جاء بمثل ذلك في الكتاب العزيز إلا ليؤدبنا به ، ويعرفنا حقه ويعلمنا كيف نخاطبه ، فمن أجل ذلك قلب الكلام عن وجهه . فحذف من كل جملة من الجملتين شيء ، فحذف المشبه به من الجملة الأولى وحذف المشبه من الجملة الثانية فكان تقدير الكلام قبل الحذف ، ومثل الذين كفروا فبقي بعد الحذف ، ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعم ، لدلالة الناقع على المنعوق بها ليأتي الكلام غير منفرد جارياً على سنن الأدب مع الرسول ﷺ ولوجاء الكلام على وجهه لم يفد .

الثاني :- ومثل الذين كفروا ومثلنا كمثله الذي ينعم ، أي مثلهم في الاعتراض ومثلنا في الدعاء والارشاد كمثله الناقع بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاءً بالأول .

الثالث :- أن المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها واستترزاقهم إياها كمثله الراعي الذي ينعم بغنمه ويناديها فهي تسمع نداءه ولا تفقه كلامه ، فيشبهه من يدعوه الكفار من المعبودات من دون الله بالغنم حيث إنها لا تعقل الخطاب ^(١) .

فالآية السابقة لم تتجاوز السطر في ألفاظها ، ولكنها عند إيضاح معانيها تجاوزت الصفحات . فالقران الكريم ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة وهو الإيجاز بعينه . والآية رغم قلة ألفاظها لم تُخلو من صور بيانية فالكفار يشبههم الله عزوجل بالأغنام التي لا تعي ولا تفهم « بل هم كالانعام بل هم أضل » ، والراعي بينهم يشبهه راعي الغنم الذي ينادي حيوانات لا تفهم ولا تعي ما يقول وهو تصوير لإعراضهم عن الحق وعن سماعه ، فالآية تجمع مع احتوائها على التشبيه التصويري ^(٢) . فالتشبيه يهدف إلى إثارة العاطفة والوجدان وكذلك التصوير . فتأمل أيها القارئ الكريم كيف يكون تأثير القران (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

(١) - بديع القران - ص (١٢٦ - ١٢٧) .

(٢) - د . حفني محمد شرف . التصوير البياني - ص (١٢٢) ط ٢ / مكتبة الشباب ، المنيرة .

امثلة - الترغيب والترهيب :-

قال تعالى : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به

نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾^(١) .

فالآية الكريمة تتحدث عن الحياة الدنيا وتصفها بأنها كالماء الذي أنزله الله من السماء فاختلط به النبات ، فنبت واخضر ثم أصبح هشيماً تذروه الرياح ، فما الفائدة منه ، هكذا حال الدنيا ، فالقرآن الكريم حينما يصف لك الدنيا التي تعيش فيها بهذه الصفة إذأ ماهي بالحياة المستقرة الهانئة ، لاشك أنه بطريق الايحاء يرغبك في العمل للدار الآخر ويزهّدك في الدنيا .

فمن خلال هذا الوصف الرائع الذي تحدث به القرآن عن الدنيا تحس في قرارة نفسك ان الدنيا ليست دائمة بل هي دار زائلة وانما هي فترة كمثّل فترة ظهور الزرع واخضراره ثم يصبح هشيماً يابساً متكسراً تذوره الرياح في كل مكان فلا أحد يستفيد منه .

امثلة " القصص القرآني - وجدل القرآن "

قال تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالم يكن من إله غيره إن أنتم إلا

مفترون ، يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً، إن أجري إلا على الذي فطرني أفلاتعقلون ﴾^(٢) الخ الآيات .

هذه الآيات تقص لنا قصة نبي الله ﴿هود﴾ مع قومه حيث أرسله الله عزوجل إلى عاد

قوم هود ، والقرآن الكريم قد عرض قصته في سور عدة منها " الأعراف - الشعراء - القمر- وجعل سورة من سور القرآن الكريم باسمه وهي " سورة هود" .

(١) - سورة الكهف : ٤٥

(٢) - سورة هود : ٥٠

وليس بالإمكان الخوض في تفاصيل قصته مع قومه إذ ليس المجال هو الحديث عن القصة في القرآن الكريم - بل ستكون النظرة عامة شاملة لتلك القصة مع إيضاح بعض التفصيلات التي توضح خاصية التأثير في تلك القصة وبالتالي توضح شيئاً من إعجاز القرآن الكريم بتأثيره في النفوس .

فهو قد أرسل الى عاد التي اشتهرت بالقوة والجبروت ، فكيف خاطبهم ، يصور لنا القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾^(١).

ثم يطلب منهم التوبة والرجوع الى الله عزوجل إذا أرادوا أن تدوم لهم النعم التي هم فيها من القوة وغيره ، فقال تعالى ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم - ولا تتولوا مجرمين ﴾^(٢) .

ولكن هذه المحاولة المخلصة من نبيٍّ لم تُجدْ مع أولئك المكابرين . فماذا قالوا له قالوا : ﴿ ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾^(٣) .

فلما أصروا على ضلالهم وزيفهم تبرأ منهم وتحداهم أن يفعلوا به شيئاً وأنذرهم وخوفهم من عذاب الله الذي سيكون فيه فناؤهم وفي خاتمة القصة أرسل الله لهم العذاب الذي وعدوا به فإذا الأرض خالية منهم ، ولم يبق سوى هود والذين آمنوا معه . هذا مجمل لقصة هود مع قومه .

(١) - سورة هود : ٥٠

(٢) - سورة هود : ٥١

(٣) - سورة هود : ٥٢

وإذا ماجادلهم فقد جادلوه بقولهم ﴿ماجئتنا ببينة﴾^(١). وهم كاذبون في هذا الزعم ، فإنه مامن نبي إلا أعطاه الله تعالى من الآيات ماعلى مثله يؤمن البشر، ولولم يكن من آيات الرسل إلا أن نفس الدين الذي جاءوا به أكبر دليل أنه من عند الله لإحكامه وانتظامه للمصالح في كل زمان بحسبه - وصدق أخباره - وأمره بكل خير ونهيه عن كل شر ، وإن كل رسول يصدق من قبله ويشهد له ، ويصدق من بعده ويشهد له^(٢).

وفي سورة أخرى قالو ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده - ونذر ماكان يعبد أبائنا﴾^(٣) فهم ينكرون على نبيهم محاولة تحريرهم من هوان العبودية لغير الله ، ولا حجة لهم إلا أنها دعوة مخالفة لطريقة آبائهم !

فكان رد هود عليه الصلاة والسلام على هذا العناد الأحمق بقوله ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وأبائكم ماأنزل الله بها من سلطان﴾^(٤).

تأمل هذا الجواب المفحم المخجل لهم ، إن هذه المعبودات ليست شيئاً سوى أسماء فارغة من كل حقيقة ، فلا وجود لها خارج مجال الشعارات المزورة . ولكن هذه الاسماء مطلية بالالوان المغرية ، ومدعومة بالدعايات النفسية - التي لا تملك عقول الجماهير قدرة علي تفنيدها - أو اكتشاف خوائها ، فتسقط فريسة في حبائل صانعيها من الدجالين والمزورين^(٥).

(١) - سورة هود : ٥٣

(٢) - عبدالرحمن بن سعدي - تيسير اللطيف المنان - ص(١٥١) - ط١ - ١٤٠٩هـ .

(٣) - سورة الاعراف : ٧٠

(٤) - سورة الاعراف : ٧١

(٥) - محمد المجذوب - نظرات تخيلية في القصة القرآنية - ص(٧١) .

ما أشبه اليوم بالأمس والمادية تطفئ على جزء كبير من الكرة الأرضية فأين منها المصلحون الذين يدغدغون الاحاسيس بنور الهداية القرآنية ، ويوقظونهم بتأثيره الفياض! .
- العبرة والعظة :-

قال تعالى ﴿ وإذ يمكر الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ (١) .

في هذه الآية الكريمة إشارة لحدث هام - وهو اجتماع قريش على قتل الرسول ﷺ - حيث اتفقوا على أن يجمعوا من كل قبيلة رجلاً يحمل سيفاً فيدخلون على النبي ﷺ في بيته فيضربونه ضربة واحدة فيقتلوه - ويتفرق دمه بين القبائل فلا يستطيع بنو هاشم المطالبة بدمه ويقبلون بالدية ، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ بذلك وأمره بالهجرة إلى المدينة المنورة ﴿ يثرب قبل الهجرة ﴾ فجلسوا يرصدونه حتى الفجر فخرج عليهم علي رضي الله عنه فقالوا أين صاحبك ؟ قال لا أدري تأمل كيف صاغ القرآن الكريم ﴿ وهو كلام المولى تبارك وتعالى ﴾ هذه القصة (٢) .

لقد لخص مسار القصة في عدة كلمات وهذه طريقة القرآن الكريم الايجاز مع الدقة ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ (٢) .
لقد كان اجتماع قريش في أول الامر لإيقاف الدعوة فلما ينسوا من ذلك خططوا للقتل ، كحل نهائي لإيقاف الدعوة الإسلامية - ولكن الله عز وجل رد كيدهم ومكرهم فلم يستطيعوا أنه يفعلوا شيئاً .

(١) - سورة الأنفال : ٢٠ .

(٢) - انظر السيرة لأبن كثير - ج٢/ ص (٢٢٦ - ٢٢١) - دار المعرفة - بيروت .

(٣) - سورة : الانفال : ٢٠ .

ففي الآية من العبر والعظات : -

- أن الله عزوجل لا يُسَلِّمُ أنبياءه لأعدائهم والدعوة لم تكتمل .

- في الآية وصف دقيق للتخطيط القرشي لقتل النبي ﷺ

- فيها إشارات إلى الهجره - والهجرة كلها عبر وعظة .

تأمل النص القرآني تجد التناسق بين الفاظه وعباراته ، بل تجد أن السياق قد رُكِّب

تركيبه عجيبة فريدة تدعو الى الوقوف عندها طويلاً ، وتأمل ما في هذا السياق من عبرة

وعظة لاشك أن ذلك سيفضي بك الى التأثر بهذا القرآن .

* * *

الفصل الثالث :

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

ويشمل :

- المبحث الأول : في العقيدة .
- المبحث الثاني : في الشريعة .
- المبحث الثالث : في الأخلاق .
- المبحث الرابع : أمثلة تطبيقية لما سبق ودراسة كيفية تأثيرها في النفوس .

المبحث الأول : -

”ففي العقيدة“

القرآن الكريم مصدر الشريعة الاسلامية السمحة ، وهو دستورها الدائم ، استغنى به المسلمون في الصدر الأول للاسلام فاغناهم عن كل شيء . ولم يمدوا أبصارهم الى غيره، ولم يأخذوا لدينهم إلا بما أوحى به كلماته وأومأت إليه آياته ودلت عليه السنة النبوية المكملة له .

ولا يكون القرآن الكريم المصدر التشريعي إلا بالفهم الصحيح السليم لكتاب الله عز وجل ، هذا الفهم يكون عن طريق طول التدبر لكتاب الله عز وجل والوقوف على أسرار إعجازه^(١) .

وبذلك يتحقق أمران هما (٢) : -

١ - تصوير مسائل الدين تصويراً واضحاً دقيقاً محدداً ، وبهذا يعرف المسلم الحكم قاطعاً فيما أحل الله وحرّم .

٢ - جعل مسائل الدين واقعة في مفهوم المسلمين واضحة في تصويرهم وإن لم يكن ذلك لهم جميعاً فللجمهرة العظمى فيهم ، حيث تعرض مسائل الدين ، في كلمات يسيرة مفهومة لا تتجاوز آية كريمة من آيات الله ، وبهذا يتصل المؤمن بدينه اتصالاً مباشراً^(٣) وفي العقيدة فقد تميز التشريع القرآني بنظرته الشمولية والموضوعية والمتكاملة في أن واحد . فالمجتمع الاسلامي وحدة متكاملة لبنتها الفرد . لذلك بدأ بتربية الفرد .

(١ - ٢) : انظر - أحمد جمال العمري - مباحث في أعجاز القرآن - ص (١١-١٢) . مرجع سابق .

(٢) - المرجع السابق ص (١٢) .

فاهتم بتحرير وجدانه لعقيدة التوحيد الصافية التي تخلصه من أدران الوهم .
وسلطان الخرافة ليكون عبداً خالصاً لله تعالى متجرداً من كل شيء سوى عبوديته لله تعالى
﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ (١) .

وقال تعالى (قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) (٢) .

وقال تعالى ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ (٤) .

والادلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم ، فأساس نزوله هو العقيدة الاسلامية ،
ولب العقيدة هو التوحيد ، فإن صحت العقيدة وجب على الفرد المسلم الأخذ بكل شرائع
القرآن فرائض وعبادات .

فعقيدة التوحيد سهلة خالية من التعقيد ملائمة للفطرة الإنسانية ، وقد تولى القرآن
توضيحها بأساليب عذبة جذابة ، لا يمكن لسامعها أو تاليفها إلا أن يستجيب لنداء الفطرة
ودعوة الحق إن كان يبحث عن ذلك ، ويقر بأنه تنزيل من حكيم حميد .

(١) - سورة الذاريات : ٥٦

(٢) - سورة الإخلاص

(٣) - سورة الحديد : ٢

(٤) - سورة الانعام : ١٠٤

١ - في مجال بيان التوحيد والاستدلال عليه من خلال مخلوقاته وآثار الإبداع في

خلقه وهي فطرية للإقناع^(١) قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ، فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، وَهَذَا الَّذِي أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قَنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ، إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢﴾ .

٢ - قرر القرآن وحدة الرسالات السماوية في أهدافها ومنطلقاتها ووسائلها وإن اختلفت في جزئيات تشريعاتها . قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فيه ، وَمَا اختلف فيه إلا الذين أو توه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴿٣﴾ .

(١) - مصطفى مسلم - مباحث في اعجاز القرآن - ص(٢٢٣) ط ١ - دار المنار - جدة .

(٢) - سورة الانعام : ٩٥ - ١٠٠

(٣) - سورة البقرة : ٢١٣

٣ - وقرر القرآن الكريم عقيدة البعث بعد الموت والحساب والجزاء يوم القيامة أوضح تقرير وأدقه ، فهذا اليوم قضاه الله لحكمة الفصل بين العباد ، فلا بد أن يعرف المسئ من المحسن والمقصر من المؤدي والصالح من الطالح قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ (٢) .
هذه اسس العقيدة الاسلامية :
الألوهية - الرسالة - المعاد .

وقد فصلها القرآن الكريم أوضح تفصيل وأبلغه ولم يدع مجالاً من مجالاتها إلا قرره أحكم تقرير ﴿ (٣) .

* * *

(١) - سورة القلم : ٢٥ - ٣٦

(٢) - سورة المؤمنون : ١١٥ - ١١٦

(٣) - انظر مصطفى مسلم - مباحث في اعجاز القرآن - (ص ٢٢٣ - ٢٢٧) . مرجع سابق .

” في الشريعة ”

الهدف من التشريع هو حماية المجتمع وجعله يعيش في أمن وطمأنينة ليحقق الهدف المنشود وهو عبادة الله عز وجل ثم عمارة الأرض .

وقد تضمن القرآن الكريم الأسس والتشريعات التي تضمن للمجتمع الرخاء والأمن والطمأنينة ومن هذه الأسس : -

١ - الرابطة بين أفراد المجتمع الاسلامي هي رابطة الولاء لله عز وجل ثم لرسوله وللمؤمنين ، وليست رابطة الدم أو الوطن فقط أو القومية أو غيرها فالولاء لله عز وجل عقيدة وطاعة ثم لرسوله ﷺ باتباع أوامره واجتناب نواهيه وللمؤمنين بالمحبة والتعاون ، قال تعالى ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يودّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات ، تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (١) .

والقرآن الكريم قد تضمن أحكام العبادات والمعاملات والحدود والقصاص ، ما يقوي أواصر الجماعة ويثبت روح التعاون والتضامن بين أفرادها ويعودهم على النظام والطاعة للقيادة المؤمنة العليا في المجتمع الاسلامي ويتجلى ذلك في الصلاة والزكاة والصوم والحج . فإن في الصلاة تربية للفرد على النظام ، وتلقي أوامر الرئيس «الإمام» .

وإن في الزكاة قضاء على الحقد والبغضاء بين الطبقات وفي الصوم إشعار بوحدة الامة وتعويد لها على الصبر وقوة الإرادة وتنمية مراقبة الله في السر والعلن .



وفي الحج إبراز المساواة بين الناس وتذكيرهم بالموقف الأكبر وإظهار للمساواة بين المسلمين ، ووحدة أمتهم الاسلاميه على اختلاف اللون والجنس تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (١) .

- أما التشريعات التفصيلية للفرد والمجتمع ، ففي القرآن الكريم العبودية لله أولاً ثم ما يقطع دابر الشقاق والخلاف بين المسلمين ، وقد حرص الاسلام على صيانة الكليات الخمس:- ﴿ الدين - النفس - العقل - المال - العرض ﴾ .

- الدولة والحكومة في القرآن :-

يظن الجاهلون أن الاسلام دين ليس له علاقة بالدنيا ولا بالدولة والحقيقة أن الاسلام دين ودولة - ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الاسلامية وأشار إليها القرآن الكريم هي:-

1 - **الشورى** : قال تعالى ﴿ والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ (٢) .

أما طريقة الشورى فقد تركها القرآن الكريم بدون تحديد توسعة ورحمة للأمة

ب - العدل المطلق بين الرعية :-

فلقد أوجب الاسلام على الراعي أن يكون عادلاً بين رعيته ، وقد حارب الإسلام التسلط على حقوق الضعفاء . قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ وتشريعاً لأُمَّته ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاجبة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ (٣) .

(٢) - سورة الشورى : ٢٧- ٢٩

(١) - سورة الانبياء : ٩٢

(٣) - سورة الشورى : ١٥

ج - التكافل الاجتماعي :

أشار القرآن الكريم إلى شعبي التكافل الاجتماعي ودعا إلى القيام بهما وهما^(١):-

الشعبة الأولى :- تتعلق بالجانب الأدبي ، إذ تبرز تكافل المسلمين وتعاونهم على إحقاق الخير وتأييده ونصرته ، وكسر شوكة الباطل واجتثاث جذوته والقضاء عليه . إنه دعامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾^(٢) .

الشعبة الثانية :- هي الشعبة المادية من التكافل الاجتماعي ، أي أن يمد المسلم لأخيه المسلم يد العون عند الحاجة وإغاثته وتفريج كربته وتأمينه إن خاف وإطعامه إن جاع ، قال تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبیین ، وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾^(٣)

والإحكام في آيات التشريع في القرآن الكريم له طرق عديدة :

منها أن تأخذ ألفاظ العبارة مواضعها ، وترتب على حسب الأهمية وتكون متينة في

سبكها وصيغتها ، وتحمل في نظمها قوة الإيحاء^(٤) .

(١) - انظر مصطفى مسلم - مباحث في إعجاز القرآن - ص (٢٢٢ - ٢٢٥) .

(٢) - سورة التوبة : ٧١

(٣) - سورة البقرة : ١٧٧

(٤) - عمر السلامي - الإعجاز القرآني - ص (١٢٦) .

قال تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، ويضربن ، بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن أو آباء بعولتهن ، أو ابنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو أخوانهن أو بني أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن ، بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا

الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿١﴾

تأمل الآية الكريمة تجد الأحكام في ترتيب الالفاظ والمعاني فيها ، لقد بدئت الآية بغض البصر قبل حفظ الفرج ، فالنظر معروف مايسببه فالتسلسل في الآية بتعريف الخطوة التي تؤدي إلى الفاحشة ، حيث بدأ بغض البصر ثم النهي عن إبداء الزينة - ثم اسدال الخُمُر على النحور والصدور ، ثم التأكيد على عدم إبداء الزينة غير الظاهرة إلا لأناس محددين وهم المحارم . وتكرار عدم ابداء الزينة مرتين عائد إلى أنه في المرة الأولى تابعة في الأمر بغض البصر وحفظ الفرج وفي الثانية بضرب الخُمُر على الجيوب . ثم رتبت الآية محارم المرأة . التي يمكن لها الظهور أمامهم بزينتها بطريقة منطقية من حيث التسلسل . وفي تقديم غير أولي الإربة من الرجال على الطفل الذين لم يظهروا على عوارت النساء فيه غمزات وهمزات وهزات نفسية - قد تتوفر في الاطفال دون الرجال الذين اشترط فيهم القرآن الخلو من الشهوة أمام تلك الزينة المفتنة .

(١) - سورة النور : ٣٠ - ٣١

وتأمل قوله تعالى ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ .
فالحشمة ليست في اللبس فقط بل تتجاوز ذلك إلى المشية ، وفي التعبير دقة حيث إن
ضرب الأرض بالأرجل ببعضها لا يكون إلا عن عمد وقصد ، وقليلاً ما يحدث صدفة ، كما أن
من طبيعة المرأة حب عرض جمالها وزينتها وإبرازها . وفي ختام الآية يتم الإحكام بدقة
معنوية وفنية بقوله تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ .

لقد جمع بين المرأة والرجل في الخطاب بينما كان الحديث السابق منصباً على المرأة ،
وهذا فيه إشعار أن المرأة لا تستطيع أن تحقق ذلك كله إذا لم يلتزم الرجل أيضاً بمضمون
الآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾
والدقة أيضاً في توجيه النصح إلى المؤمنين والمؤمنات ، بالتزامهم التوبة لما فيها من
فوائد جمة تعود عليهم . فالنقص والتقصير صفتان تلازمان البشر لذلك وصاهم بالتوبة .
من ذلك يتضح لنا أن " هذه اللمسات النفسية واللقطات الفنية تتوافر بوضوح في
عبارات التشريع والأحكام التي تتصف في الغالب بالجفاف ، بحكم ما يفرضه الأداء العلمي
للحقائق ، ولكنها في القرآن تجمع بين الأسلوب العلمي والأدبي الذي يشع حيويته وإثارة ،
ويلمس الوجدان في أعماقه ، إن أية الأحكام تحافظ على دقة الأداء بوضوح " (١) .

(١) - عمر السلامي - الإعجاز الفني في القرآن - ص (١٢٨) .

المبحث الثالث : -

” في الأخلاق ”

لقد وضع القرآن الكريم قواعد الاسلام ، ومن أبرز هذه القواعد ثبات القيم ، ويترتب عليه ثبات الاخلاق . والالتزام الخلقي هو المحور الذي تدور حوله القيم الأخلاقية ، فإن زالت فكرة الالتزام قضى على جوهر الهدف الخلقي ، لأنه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية ، وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل لوضع الحق في نصابه ، ففي الغرب أحياناً تجد أخلاقاً بلا إلتزام ، ولكن الاسلام أخلاق ملتزمة^(١)

وقد حث القرآن الكريم على الإلتزام والتحلي بالأخلاق الفاضلة الحميدة وكثيراً ما يكرر القرآن عرض هذه الأخلاق بأساليب متنوعة متعددة ، وماذا إلا بهدف إسماع المؤمنين من هذه الصفة ، فإذا ماسيطرت عليه استشعروها أنفسهم واتصفوا بها في سلوكهم ونفروا من ضدها وهذا ولا شك اسلوب من الأساليب التربوية الرفيعة العالية .

مثال ذلك خلق ” العزة ” فقد كرر القرآن الكريم وصف ذات الله القدسية بصفة العزيز ما يقرب من تسعين مرة^(٢) .

ومن هذه الاساليب نجد ان القرآن الكريم يعرض جملة من أمهات الأخلاق على شكل وصية من الله تعالى وميثاق يؤخذ على المؤمنين وعليهم الإلتزام به والقيام عليه والوفاء به وقد تكون الوصية أحياناً على لسان ولي من أوليائه .

فمثال الأولى ﴿ قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،

(١) - انظر احمد جمال العمري - مباحث في إعجاز القرآن - ص (١٩) .

(٢) - مصطفى مسلم - مباحث في إعجاز القرآن - ص (٢٣٩) .

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لانكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿ (١) .

ومثال الثاني قوله تعالى ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفاً ، واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ، يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (٢) .

٣ - وقد يكون الأسلوب ثناءً على طائفة مختارة من عباد الله الذين نهجوا في حياتهم الدنيا نهجاً ربانياً استحقوا به هذا الثناء والرضوان في الآخرة .

(١) - سورة الانعام : ١٥١ - ١٥٣

(٢) - سورة لقمان : ١٣ - ١٩

قال تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجّداً وقِياماً ، والذين يقولون ربنا أَصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِن عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾^(١) . إلى آخر ما جاء في هذا السياق في نهاية السورة .

وهكذا نجد أن التشريع القرآني جاء معجزاً للبشر في كل شيء في سموه ورفعته بل وفي عدالة .

فقد تناولت أحكام القرآن جوانب الحياة جميعاً بما فيه صلاح البشرية وسعادتها ، فكان منها ما يتعلق بالفرد والأسرة والمجتمع وحكم الدولة والأخلاق وأهم هذه ما يتعلق بالعقيدة الصحيحة السليمة .

وكل ما يخطر بالبال من نواحي الحياة الهامة^(٢) .

قال تعالى ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(٣) .

(١) - سورة الفرقان : ٦٣ - ٧٧ ، آخر السورة .

(٢) - حسن ضياء الدين عتر - المعجزة الخالدة - ص (٢٢٢) مرجع سابق .

(٣) - سورة الانعام : ٣٨

المبحث الرابع :-

” أمثلة تطبيقية لمسبق ”

أولاً في العقيدة :-

قال تعالى ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ ۝﴾^(١) .
في الآية الكريمة مخاطبة للعقول البشرية العاقلة التي تفهم وتعي ما يقال ، تخاطبها لتقرر لها حقيقة واحدة أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى . وهذه الآية دليل يجابه به الماديون الذي يقولون أن الكون خلق من المادة .

ويؤخذ من الآية الفرضيات التالية :

- ١ - أن يكون الإنسان عدم وجاء من عدم وهذا محال فهو موجود .
 - ٢ - أن يكون الإنسان خلق من عدم وهذا محال أيضاً إذ العدم لا يخلق شيئاً .
 - ٣ - أن يكون الإنسان قد أوجد نفسه وهذا أيضاً يرفضه العقل والمنطق ، فلم ير العقل البشري إنسان يخلق نفسه .
 - ٤ - إذا يبق أن الإنسان مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ، القادر علي كل شيء سبحانه ، وهذا هو الحق الذي لامراء فيه . وتنطبق هذه المقولات على الكون أيضاً .
- تأمل أيها القارئ الكريم كيف خاطبت الآية الكريمة العقل الإنساني وكيف أرشدته إلى الحق وإلى الصراط المبين.

إن آية واحدة في كتات الله مليئة بالحقائق حقيقة خلق الإنسان وخلق الكون كله .
هكذا نجد أن القرآن الكريم قد أثار للبصائر طريق الحق ، فإن هي أرادت لنفسها الفلاح والرشاد اهدت إليه وإن أصرّت على ضلالها طُبع عليها .

(١) - سورة الطور : ٣٥ - ٣٦

والآية مؤثرة في عقل الباحث عن الحقيقة ، بل تأمل قول الصحابي (١) حينما سمعها قال " كاد قلبي أن يطير " من ماذا من شدة فرحته بما وجدته في نفسه من هداية داخلية أوحتها له الآية وأثرت فيه بذلك .

ثانياً : - في الشريعة :-

لقد مر تحريم الخمر بمراحل ، ففي المرحلة الأولى نزل قوله تعالى : -
﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ (٢) .
وقال تعالى ﴿ يستلونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ (٤)
وأخيراً كان التحريم الأبدي في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وليصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (٥) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية :- لما علم عمر رضي الله عنه أن هذا وعيد شديد زائد على معنى النهي قال : انتهينا .

(١) - سبق الإشارة إلى الحديث في المقدمة فهو قد رواه البخاري عن جبير بن مطعم (رضي الله عنه) في صحيحه - كتاب التفسير .

(٢) - سورة النحل : ٦٧ . (٣) - سورة البقرة : ٢١٩ .

(٤) - سورة النساء : ٤٣ . (٥) - سورة المائدة : ٩٠ - ٩١ .

روى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله عنه قال : كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة منزل تحريم الخمر ... فأمر منادياً ينادي ، فقال أبو طلحة اخرج فانظر ما هذا الصوت ، قال فخرجت فقلت : هذا منادٍ ينادي ألا إن الخمر قد حرمت . قال : اذهب فأهرقها . فخرجت في سكك المدينة .

تأمل تأثير شريعة القرآن الكريم ، فهذا تأثيره وذلك منهجة ، وتلك كانت استجاباتهم لدعوته حيث قهرت العادة ، وتمت السيطرة عليها .

ثالثاً : - " في الاخلاق " -

نجد في القرآن الكريم آية تشتمل على ثلاث كلمات تضمنت كما قال القرطبي رحمه الله - كل أصول الاخلاق - وجميع قواعد التشريع في المأمورات والمنهيات وهي قوله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ﴾^(١) .

وقد جمع النبي ﷺ الاخلاق الواردة في هذه الآية ، لجابر بن سليم - قال جابر: ركبت قعودي ثم أتيت مكة فطلبت رسول الله ﷺ - فانخت قعودي بباب المسجد فدلوني على رسول الله ﷺ - فإذا هو جالس عليه برد من صوف فيه طرائق حمر - فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : وعليك السلام ، فقلت : إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء - فعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فقال : ادن ، ثلاثاً وقال : أعد علي ، فأعدت عليه ، فقال ﷺ اتق الله ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً ، وأن تلقى أخاك بوجه منكسر ، وأن تفرغ من دلوك في اناء المستقي ، وإن امرؤ سأك بما لا يعلم منك ، فلا تسبه بما تعلم فيه فإن الله جاعل لك أجراً وعليه وزراً ، ولا تسبن شيئاً لما خولك الله تعالى ، قال جابر فوالذي نفسي بيده ، ما سببت بعده شاة ولا بغيراً^(٢) .

(٢) - أخرجه البزار في مسنده ، وأورده القرطبي بلفظه في تفسيره .

(١) - سورة الاعراف : ١٩٩

فالكلمات الثلاث أخذت اقسام الاسلام الثلاثة ^(١) : -

فقوله : " خذ العفو ، تولى بالبيان جانب اللين ونفي الحرج في الأخذ والاعطاء والتكلف : وقوله : " وأمر بالعرف " : تناولت جميع المأمورات والمنهيات وأنها ماعرف حكمه ، واستقر في الشريعة موضعه واتفقت القلوب علي علمه .
وقوله : " وأعرض عن الجاهلين " ، تناول الصفح بالصبر الذي يتأني للعبد به كل مراد في نفسه وغيره ^(٢) .

ويقول ابن السعدي : " هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم " ^(٣) .
فمن تدبر كتاب الله عز وجل بقلب سليم ، ونفس مجتمعة ، وجد وراء كل آية معجزة أو معجزات يرى في منطوقها المعنى الذي تقومه أو توجه الانسان له ، وبهذا يتلقى المسلم أحكام شريعته الغراء على أضواء معجزات مشرقه نيره تغمر بنورها الآفاق كلها من حوله ، فلا يرى إلا نوراً علوياً يشرح صدره للحق ويفتح قلبه للايمان .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد خاطب في تشريعه العقول والقلوب ، وأشبع الفكر والعاطفة لدى الناس وربطهم برباط وثيق بربهم ، ووضع أيديهم على حقائق الحياة والموت وفتح عقولهم وحواسهم على حقيقة السعادة وعرفهم بحقيقة الرفعة والشرف ^(٤) .

(١) - تفسير القرطبي - ١ / ٣٤٥ .

(٢) - عبد الرحمن ابن سعدي - تفسير الكريم الرحمن - ٢ - ص (١٨٢) .

(٤) - أنظر - محمد زكي الدين محمد القاسم - هذا القرآن فأين منه المسلمون -

ص (٥٠٣) . ط ١ - ١٤٠٨ - دار البحوث العلمية الكويت .

الفصل الرابع :

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

ويشمل :

- المبحث الأول : في خلق الإنسان .
- المبحث الثاني : في بدء الكون ثم سעתه ثم مصيره .
- المبحث الثالث : في البحار .
- المبحث الرابع : في الحيوان .
- المبحث الخامس : أمثلة تطبيقية لما سبق ودراسة كيفية تأثيره في النفوس .

" خلق الإنسان "

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز عن كيفية خلق الانسان ، فأصل الانسان مخلوق من تراب ، فلقد خلق الله آدم من تراب وآدم عليه الصلاة والسلام هو أبوالبشر .

قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ خلق الإنسان من صلصل كالفخار ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ﴾ (٣) .

هكذا نجد أن القرآن الكريم فيه اشارات قطعية إلى أصل الانسان كيف خُلِقَ ، ثم بعد ذلك توضيح الآيات الكريمات إلى إيضاح أمر غيبي آخر هو كيفية تَخَلُّق الإنسان بعد أن تم خلقه من تراب وكيف تناسل وتكاثر حتى أصبح بهذه الأعداد الهائلة . يقول تعالى ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾ (٤) .

(١) - سورة المؤمنون : ١٢

(٢) - سورة الرحمن : ١٤

(٣) - سورة الحج : ٥

(٤) - سورة الحج : ٥ - ٦

وقال تعالى ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم خلقناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقه ، فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(١) .

فالأيات السابقة تدلنا على كيفية خلق الانسان ، فهو يكون من نطفة ثم هذه النطفة بعد أن يتم تلقيحها بالبويضة تصبح علقه في رحم المرأة ، ثم بعد ذلك تكون هذه العلقه مضغه أي أنها تشبه مضغه اللحم في خلقها ، ثم ينشئ الله من هذه المضغه العظام ، ثم يكسوا الله العظام لحماً ، هذه الخطوات يمر بها خلق الانسان وهو في رحم أمه ، وهذا الرحم لم يطلع عليه أحد ، فكيف جاء بهذا القول رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ، لا شك أن ذلك من اعجاز القرآن الكريم .

ويقول الله تعالى في آية اخرى ﴿فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب﴾^(٢) .

يقول ابن القيم : " فارجع إلى النطفة وتأمل حالها ، وما صارت إليه ثانياً ، وأنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعاً ، أو بصرأ ، أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً بل عظماً واحداً من أصغر عظامها بل عرقاً من أدق عروقها ، بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك ، بل ذلك كله آثار صنع الله الذي أتقن كل شيء في قطرة من ماء مهين . فمن هذا صنعه في قطرة ماء فكيف صنعه في ملكوت السماوات وعلوها وسعتها واستدارتها وعظم خلقها وحسن بنائها وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها ومقاديرها وأشكالها﴾^(٣) .

(١) - سورة المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) - سورة الطارق : ٥ - ٧

(٣) - مفتاح دار السعادة : ١ / ١٩٦

كما تشير الآية الكريمة إلى أن الماء الدافق مصدره من بين الصلب والترائب فعلماء الأجنة يقولون : إن الجنين عند تكوينه في الرحم تنبت الخصيتان في ظهره عند أسفل الكليتين تماماً وتبقيان كذلك في ظهره حتى أشهره الأخيرة في بطن امه ثم تنحدر الى الاسفل وعند الولادة تكونان في المركز المعتاد ^(١) .

كذلك لو نظرنا في الدم الذي يغذي هذين العضوين ، وهما الخصية لدى الرجل والمبيض لدى المرأة ، نجد أن الدم يأتي من شريان الاورطي - من مكان يقابل الكلى موقعه بين العمود الفقري وهو ما يقصد به الصلب لدى الانسان وبين عظام الصدر وهو ما يقصد به بالترائب فيه ^(٢) .

ومن الحقائق العلمية التي اكتشفها العلم الحديث عن الانسان وهي موجودة في كتاب الله: قوله تعالى ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ ^(٣) .

يقول العلماء إن بصمة البنان في أي انسان لا تتشابه بأي انسان آخر ^(٤) . وقد أمرنا الله عزوجل بالتدبر والتفكير حتى في أنفسنا لاكتشاف بعض الاسرار التي أودعها الله فينا ، ثم هو سبحانه ينبهنا عليها من طرف آخر - لحكمة يعلمها سبحانه ، فلعل الناس تهتدي .

(١) - انظر د . خالص جلبي - الطب محراب الايمان - ص (٦٣/١) ، ط - السابعة ١٤٠٧ هـ . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢) - انظر محمد الصرايرة - آيات للموقنين - ص (٧) - ط - الاولى - ١٤٠٥ هـ ، مكتبة المنار - الاردن .

(٣) - سورة القيامة : ٤

(٤) - د . محمد سعيد البوطي - منهج الحضارة الانسانية في القرآن الكريم - ص (٤٧) ، ط - الاولى - ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م .

دار الفكر - دمشق .

والقرآن الكريم كما لاحظنا قد أودع الله فيه العلوم والمعارف وأمر الإنسان بالتفكير والتدبر ليستجلي هذه العلوم والمعارف ، كما أنه قرر للإنسان أصله حتى لا يتكبر على خالقه ولا على أخيه الإنسان ، بل إن مصيره إلى التراب قال تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . فمن تأمل الآيات القرآنية التي تتحدث عن النشأة الإنسانية وكيفية تخلق الإنسان في رحم أمه ، أفلا يتأثر بما في كتاب الله من حقائق علمية وإعجاز علمي أفلا يكون لذلك أثر في نفسه ولا سيما إذا المرء من ذوي العلم الذين يدركون تلك الدلالات العلمية فما بالك إذا تذكر القارئ والمستمع أن المتحدث هو رب العالمين ، بأسلوب عربي مبين ؟ !

بلى إن ذلك له أثره الذي يستولي على النفوس والقلوب ، وهذا هو السبب الذي كان من وراء إسلام عدد من الباحثين المتخصصين حينما يطلعون على بعض تلك الحقائق العلمية الواردة في الكتاب الكريم !

المبحث الثاني : - بدء الكون - ثم سعيه - ثم مصيره .

أولاً : - بدء الكون :

قال تعالى ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ (١) .
وقال تعالى ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾ (٢)
يأمرنا الله عز وجل بالنظر في ملكوت السموات والأرض، ويأمرنا بالنظر إلى السماء ، والتساؤل عن كيفية بناء هذه السماء التي ليس لها أعمدة ترفعها ،

(١) - سورة الاعراف : ١٨٥

(٢) - سورة ق : ٦

وليس فيها فروج " ثقب " ، وهذا الأمر هو " حث على طلب العلم والمعرفة والتجربة والاستقراء والاستدلال وبذلك يتفق القرآن مع منهجية العلم في معالجة الظواهر المختلفة " (١) .
فالمهمة الأساسية للقرآن الكريم هي الهداية والارشاد عن طريق رسول مؤيد بالمعجزات ،
وليس بيان المشاكل الكونية والحقائق لذلك فإنه لا بد من التنبيه إلى أهمية مراعاة الأمور
التالية (٢) :-

١ - عدم الافراط والتفريط :-

عدم التفريط في البحث عن الآيات الكونية - وعدم تحميل النصوص ما لا تحتل وعدم
الافراط بحيث تجاوز البحث المأمورين به الى البحث عن دقائق وخصائص الأمور الكونية التي
لم تصل الى حد الحقيقة التي يمكن البت في أمرها.

٢- مرونة الأسلوب القرآني :- فهو قد يقبل وجوهاً من التأويل لذلك لا بد من الرجوع إلى
دلالات الكلمة الحقيقية والمجازية ، واستعمالاتها في اللغة العربية لتكون الاحتمالات من حيث
المعنى واضحة في الذهن عند الاقدام على تفسيرها .

٣ - الحقائق العلمية مناط الاستدلال :- وذلك بالإقتصار عليها وأبعاد الفرضيات والنظريات
العلمية التي لم تصل الى درجة الحقيقة العلمية .

٤ - عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة :-

أي أن لا نحكم على الدلالات الأخرى للكلمة والاكتفاء بالمعنى الذي يوافق الحقيقة العلمية ،
فقد تكون الآية تحتوي على جميع دلالاتها .

(١) - احمد حنفي - التفسير العلمي للآيات الكونية - ص(٢٩٦) ، ١٩٦٠ - دار المعارف، مصر .

(٢) - هذه النقاط مختصرة بتصرف من : مصطفى مسلم - مباحث في إعجاز القرآن - مرجع سابق - ص(١٥٣) .

٥ - استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية : -

- يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية لخروجهما من مشكاة واحدة ،
وما يثيره البعض راجع إلى أحد أمرين : -
- إما سوء فهم للحقيقة العلمية .
- أو سوء فهم للحقيقة القرآنية بأن يفهمها قطعية الدلالة وهي ليست كذلك .
٦ - اتباع المنهج الرباني في طلب المعرفة : -

ومن ذلك العلم بأن الأمور مرهونة بأوقاتها فخير مفسر للقرآن الزمن ، وأن أمور الكون قائمة على سنن الله ، وسير الكون بموجبها ، فإن من تعرّف على هذه السنن أمكنه تسخيرها لمصلحه والافادة منها في تيسير سبل العيش .
واحراز التقدم المادي ، بغض النظر عن معتقده ، وهذه سنة الله في أمور الحياة الدنيا ، فهي تعطى لمن أحبه الله أو لم يحبه . بخلاف الآخرة .
وعن كيفية بدء الكون ، وخلق السموات والارض ؟؟
يقول الله تعالى ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (١) .

ويقول جل ذكره ﴿ قل أأنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعلنا فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دُخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (٢) .

(١) - سورة الانبياء : ٣٠ .

(٢) - سورة فصلت : ٩ - ١٢ .

هذه الآيات الكريمات من القرآن الكريم -تبين هيمنة العلمية على غيره من الكتب السماوية وفي ذلك دحض للذين يرمون الرسول ﷺ ، بأنه استقى المعلومات من الكتب السماوية المقدسة السابقة له من الأخبار والرهبان (١) .

هذه الكتب التي لم تسلم من تحريف ذويها حسب ما أخبر به كتاب الله عز وجل ، والآيات القرآنية السابقة تشير الى حقائق كونية هي : -

١ - خلق الأرض وتقدير الأوقات فيها في أربعة أيام قبل السماء .

٢ - أن أصل الكون المادي المشاهد من الدخان .

٣ - الدورات التكوينية للأرض والسماء ومجموعهما في ستة أيام .

فالحقيقة الأولى وهي خلق الأرض قبل السماء فإن هذه الحقيقة لا يستطيع العلم البشري التوصل إليها إلا عن طريق الوحي من خالق السماوات والأرض - لأن وسائل البشر محدودة فلا يستطيعون اختراق حجب الغيب . ليعرفوا تكوين الأجرام الكونية السابقة منها واللاحقة .

قال تعالى ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ (٢) .

ولا تعارض في القرآن الكريم بين آيات سورة فصلت التي سبق ذكرها - وآيات سورة النازعات في قوله تعالى ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (٣) .

جاء في الحديث الصحيح . قال المنهال عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : إني لأجد في القرآن أشياء تختلف على : ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾

(١) - احمد سعيد سليمان - القرآن والعلم - ص (٥٣) .

(٢) - سورة الكهف : ٥١

(٣) - سورة النازعات : ٢٧ - ٣٠

﴿وَأَقْبِلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ - وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ الْأَرْضِ - ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿طَائِعِينَ﴾ فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ - ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ . وَفِي النَّفْخَةِ الْآخِرَى ﴿وَأَقْبِلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ . وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ تَعَالَوْا نَقُولْ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ فَيَخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَيَتَنَطَّقُ أَيْدِيهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَكْتُمُ حَدِيثًا وَعِنْدَهُ ﴿يُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ الْآيَةَ

وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ أُخْرَيْنِ ، ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ وَدَحِيهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ ، وَالْمَرْعَى وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالرَّمَالَ وَالْجُمَادِ وَالْأَكَامِ وَمَا بَيْنَهَا فِي يَوْمَيْنِ أُخْرَيْنِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿دَحَاهَا﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ . فَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ . ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

سَمِيَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ : أَيُّ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ

الَّذِي أَرَادَ . فَلَا يَخْتَلِفُنَّ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(١) .

(١) - صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة - حم - السجدة - ج ٦ / ٣٥ .

يقول ابن كثير إن خلق الأرض قبل السماء جاء بنص القرآن الكريم ، أما دحو الأرض

فكان بعد خلق السماء (١)

فالقران الكريم قد حدثنا عن أمور تفصيلية دقيقة في خلق السماوات والأرض لم تستطع الاكتشافات العلمية الحديثة التوصل إليها حتى الآن ، بل إن أقصى ما استطاعوا معرفته أن الكون كان سحابة سديمية أي دخان كما وصفه الله عزوجل في كتابه حيث قال ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض اأتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ (٢) .

إن هذه المعاني في هذه الآيات وأمثالها ذات أثر في النفوس المتدبرة لها إذا كانت تدرك هذه الحقائق ، وقد كانت هذه من أهم أسباب إسلام عددٍ من المتخصصين من الباحثين .

ثانياً : - سعة الكون -

قال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون ﴾ (٣) ، يقول المفسرون : ﴿ والسماء بنيناها ﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿ بأيدٍ ﴾ أي بقوة ﴿ وإنا لموسعون ﴾ أي قد وسعنا أرجاءها وفرعناها بغير عمد حتى اعتلت (٤) .

فبناء الكون المادي المترامي الأطراف المشتمل على بلايين المجرات التي تحتوي كل مجرة منها بلايين الشموس والنجوم ومايتبع ذلك إلى جانب مايعج من طاقات وإشعاعات مختلفة

(١) - انظر تفسير ابن كثير - ج٤ - ص (٤٦٩) .

(٢) - سورة فصلت : ١١

(٣) - سورة الذاريات : ٤٧

(٤) - انظر تفسير ابن كثير - ج٤ - ص (٢٢٨) .

القدر والصفات ، قد اتسعت له مقدرة الخالق ، إنا لموسعون حيث خلقنا الكون ابتداءً على اتساع لانهاية له ولذلك فهو يتسع لكل المجرات مهما تباعدت عن بعضها بعضاً^(١) .

ويحتمل قوله تعالى ﴿لموسعون﴾ أن الله تعالى يزيد ويوسع باستمرار في الفضاء بين الاجرام بسبب مجاميع الاجرام فيه .^(٢)

والعلم الحديث يقول " إن عملية ميلاد النجوم والمجرات في الكون مستمرة ، فالكون يجب أن يتمدد ويتسع بقوة لام التأكيد الإلهية في قوله تعالى ﴿لموسعون﴾ هكذا تنطق الحقيقة القرآنية بلا حاجة إلي أي تفسير واجتهاد ، فالله عزوجل أراد أن يكون خلق المادة مستمراً وهذا يدفع الكون إلى التمدد ، وهذا يلاحظ من خلال تباعد تجمعات المجرات بعضها عن بعض"^(٣) .

وهذه المعاني في هذه الآيات القرآنية وماتحملة من إعجاز ذات أثر في نفس السامع والقارئ الذي يعمل فكرة في التأمل في هذا الكون العجيب وعظمته .

ثالثاً : - مصير الكون : -

الكون قد جعل الله له بداية وأوضحها في كتابه ، وجعل له أيضاً نهاية ، ولكن هذه النهاية هي في حقيقتها بداية لعالم آخر هو العالم الأبدي ذلك هو يوم القيامة وما بعده وقد وصف الله عز وجل نهاية الكون الدنيوي في عدة آيات ، ومن سنة الله عزوجل في هذه الدنيا أن جعل لكل شيء نهاية .

كما أن هذه الدنيا وما فيها من أكوان خلقت من أجل الإنسان فهي تنتهي بنهاية المرحلة الدنيوية لهذا الإنسان .

(١) - انظر مصطفى مسلم - مباحث في إعجاز القرآن - مرجع سابق - ص(١٦٣) .

(٢) - انظر احمد حنفي - التفسير العلمي للآيات الكونية - ص(٢٩٦) مرجع سابق .

(٣) - د . عبد العليم خضر - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ص(١٠٥) - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

- الدار السعودية للنشر - جدة .

- تأمل قوله تعالى ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ (١) .
- قوله تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ (٢) .
- وقوله تعالى ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ (٣) .
- وقوله تعالى ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾ (٤) .
- وقال تعالى ﴿وإذا السماء كشطت﴾ (٥) .
- وقال تعالى ﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت﴾ (٦) .
- وقال تعالى ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾ (٧) .
- وقال تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (٨) .

هذه بعض النصوص القرآنية التي تشير الى الأحداث الكونية الهائلة التي تدل على نهاية الكون ، حيث يَفْرِطُ الله عِقْدَ هذا الكون المنظوم ، وتختل روابطه وضوابطه التي تمسك به في النظام الرائع البديع الدقيق ، وتتناثر أجزاؤه منفصلة حسب المشيئة الإلهية ، ويعود كل شيء الى دخان كما كان البدء دخاناً .

﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ (٩) .

-
- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| (١) - سورة الانبياء : ١٠٤ | (٢) - سورة الفرقان : ٢٥ |
| (٣) - سورة الحاقة : ١٦ | (٤) - سورة النبأ : ١٩ |
| (٥) - سورة التكويد : ١١ | (٦) - سورة الانفطار : ١-٢ |
| (٧) - سورة الاحقاف : ٣ | (٨) - سورة الرحمن : ٢٦ - ٢٧ |
| (٩) - سورة الدخان : ١٠ | |

وقال تعالى ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (١) .
وهكذا يقرّر الله عز وجل من خلال آيات القرآن الكريم أن الخلق سوف يعيده كما بدأه .
وتأمل قول الحق تبارك وتعالى ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ (٢)
" في ظل هذا النص القرآني تخفت الأنفاس ، وتخشع الاصوات ، قال تعالى ﴿ وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ﴾ (٣) .

وتسكن الجوارح ، وظل الفناء يشمل كل حي - ويطوي كل حركة - ويغمر أفاق السموات
والأرض وجلال الوجه الكريم الباقي يظل النفوس والجوارح ... والزمان والمكان ... ويغمر
الوجود كله بالجلال والوقار .

ولا يملك التعبير البشري أن يصور الموقف ... ولا يملك أن يزيد شيئاً على النص القرآني
الذي يسكب في الجوائح السكون الخاشع ، والجلال الغامر ... والصمت الرهيب ... الصمت
الذي يرسم مشهد الفناء الخاوي ...
وسكون الموت المخيم بلا حركة ... في جنبات هذا الكون الذي كان حافلاً بالحركة
وبالحياة " (٤) .

(١) - سورة الانبياء : ١٠٤

(٢) - سورة الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٣) - سورة طه : ١٠٨

(٤) - في ظلال القرآن / ٣٤٥٤

لاشك أن كل شيء سيتغير ... «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات»^(١) ... " ونحن لا ندري كيف سيتم هذا ولا طبيعة الأرض الجديدة وطبيعة السماوات ولا مكانها ... ولكن النص يلقي الظلال ، ظلال القدرة التي تبدل الأرض وتبدل السماوات وتبعث الارتجاج في والهلح الأرض^(٢) كما يقول سبحانه وتعالى «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً»^(٣) . تلك القدرة التي تجعل السماء تنفطر .. والكواكب تنتثر .. والبحار تفجر والقبور تبعثر ... القدرة التي تجعل الجبال تسير والأرض تميد ، بقوله تعالى «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة»^(٤) .

وقال سبحانه «وإذا الجبال سيرت»^(٥) . كل ذلك آيات على قدرة الخالق جل وعلا... فتبارك الله أحسن الخالقين وإليه ترجعون . ومن صور هول ذاك اليوم العظيم ... طي السماء كطي السجل للكتب ... يقول اللغويون : إن طي الشيء ضمه ولفه كما يلف البساط ، ويطوى ، وطي السماء ضمها ولفها ... كما يطوى السجل على ماكتب فيه . لقد أخذ الله عز وجل - وهو ذو الجلال والعظمة سبحانه وعداً بذلك فيقول سبحانه وتعالى «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين»^(٦) .

(١) - سورة ابراهيم : ٤٨

(٢) - المرجع السابق / ٢١١٣

(٣) - سورة المزمل : ١٤

(٤) - سورة الكهف : ٤٧

(٥) - سورة التكوين : ٣

(٦) - سورة الانبياء : ١٠٤

كما بدأ الكون سحابة سديمية من دخان ... يعيده الخالق العظيم سبحانه إلى دخان مرة أخرى ... وسيكون ذلك بطي السماء طيا بعوالمها من كواكب وشموس وأقمار ستطوى السماء كما يطوي السجل ... والسجل : أصل الحجر الذي يكتب عليه ... ثم استعمل لكل ما يكتب عليه من جلد وأوراق ... طي السجل للكتب ... طي الأوراق على الكتابة " للكتب على الكتب " . (١)

والصورة رهيبة ... حقاً ... موثرة . فما أعظم قدرتك ربي !

ويأتي تأثر النفس من هذا النوع من آيات الله من جهة أن المتكلم الله سبحانه ، ومن جهة جلال هذا الموقف الرهيب الذي ينتظر كل مخلوق ، ومن جهة ما ينطوي عليه هذا الجانب من غيب ، ومن جهة ما اشتملت عيه الآيات من إعجاز .



(١) - انظر د . عبدالمعزم خضر - الظواهر الجغرافية - مرجع سابق - ص(٧٤-٧٦)

- انظر تفسير ابن كثير - ج٢ - ص(١٩٤) .

" البحار "

إن القرآن الكريم . كتاب الله عز وجل -- لم يترك شيئاً يدل على أنه انزل من عند الله ، وان الرسول ﷺ ، هذا الرجل الامي لا يمكن أن يقول ذلك من تلقاء نفسه إلا وتحدث عنه . فقد تحدث عن عالم البحار ووصفها وصفاً دقيقاً ، وأشار إلى حقائق لا يمكن أن تعرف إلا بعد الدراسة والاكتشاف ، لولا أن هذا الكتاب كتاب الله ، كما أشار إلى أمور قد لا يستجليها الإنسان إلا إذا عاش طول عمره يتنقل فوق هذه البحار . قال تعالى ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَاراً ، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٢)

يقول الراغب في مفرداته: (٢)

حادة حجز " يقال الحجز المنع بين الشيئين بفواصل بينهما ، قال الله عز وجل ، ﴿ وجعل بين البحرين حاجزاً ﴾ (٤) . وفي مادة «مرج» يقول: " المروج الاختلاط ، يقال مرج أمرهم اختلط . ويقال : أمر مريج: أي مختلط ، ومنه غصن مريج مختلط " .

(١) - سورة النمل : ٦١

(٢) - سورة الرحمن : ٢٤ - ١٩

(٣) - الراغب الاصفهاني - المفردات - (ص ١٥٦) . مكتبة الانجلو المصرية .

(٤) - سورة النمل : ٦١

وفي مادة «برزخ» : " البرزخ : الحاجز - والحد بين الشيئين ، والبرزخ في القيامة : الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة ، وقيل البرزخ في القيامة ما بين الموت إلى القيامة " .

إن المعاني السابقة تفيد إطلاق ماء البحرين فيختلطان ولكن لا يتجاوز أحدهما على ماء الآخر .

وقد توصل العلم الحديث إلى نتائج تعطي نفس المعنى اللغوي ولكن بالدليل العلمي . قالوا إن من نعم الله عز وجل عدم اختلاط مياه البحار المتجاورة بل جعل بينهما قانوناً ثابتاً يحكم فيها العلاقة بينهما من حيث الكثافة والملوحة وما فيهما من أحياء مائية ، كأن يكون بين كل بحر وآخر حاجز غير ظاهر للعيان ، لم تقمه يد الإنسان ولكن أقامته يد الرحمن ، ومن عجائب قدرة الله عز وجل القادر على كل شيء ، أنه جعل ماء النهر لا يؤثر في ملوحة ماء البحر .^(١)

وتأملوا في دورة المياه فوجدوها كالتالي :-

١ - إن دورة المياه في الكون والتي تبدأ بتبخر كميات هائلة من سطح المحيطات وتتكون منها السحب ثم تنزل على اليابسة بصورة المطر لتنبث الزرع وتحي الأرض بعد موتها ، فهي مياه عذبة خرجت من مياه مالحة بل قد تكون شديدة فلا تبخرها يزيد ملوحة البحار ولا عودتها بصفة الانهار يقلل من ملوحة البحر .

٢ - توصل الجغرافيون إلى أن مستوى سطح النهر أعلى من مستوى سطح البحر فلا يبغي البحر على النهر .

٣ - إن الأنهار عند مصابها في البحار تكون بحيرة تعيش فيها كائنات ، هذه الكائنات لا تستطيع أن تعيش في غير هذا الجو ، وهذا المحيط من الماء الذي ليس بالحلو كماء النهر وليس بالمالح كالبحر .

(٢) - مصطفى مسلم - مباحث في إعجاز القرآن - ص (١٨٤) .

٤ - إن الحاجز غير مرئي ، لكن يلاحظ من اختلاف طعم المياه عن بعضها فلقد لاحظت بعثة " السيرجون اقري " ، مع بعثة الجامعة المصرية وخفر السواحل لدرس أعماق البحر الأحمر والمحيط الهندي في جنوب عدن الآتي :-

أ- وجدت البعثة اختلاف مياه خليج العقبة في خواصها وتركيبتها عن المياه في البحر الأحمر .

ب - تبين للبعثة وجود حاجز مغمور بين المحيط الهندي والبحر الأحمر حيث أثبتت التحاليل إختلاف مياه المحيط الهندي عن مياه البحر الأحمر ، ومرجع ذلك إلى وجود الحاجز المغمور عند ملتقى البحرين " (١) .

قال تعالى ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (٤) .

هذه من الآيات التي وردت في القرآن الكريم تدل على بعض أسرار الكون التي لم يعلم عنها البشر إلا بعد الدراسة والتمحيص والاكتشاف ،

وقد توصل العلم الحديث إلى بعض اشارات هذه الآيات ، فمن أراد الحق وابتغى لنفسه العلاج من ذوي العلم والمعرفة ، وقرأ هذه الآيات وفهم معناها كما توصل لها العلم الحديث الذي يدين له العقل البشري بالقدرات الهائلة ، ألا يكون لهذه الآيات تأثير في نفسه ، فالتأثير لاشك أنه حاصل لما في هذه الآيات من إعجاز علمي .

(١) - يعقوب صرّوف - إفتات علمية - ص (٥٧) - الدار السعودية .

(٢) - سورة الفرقان : ٥٣

(٣) - سورة النمل : ٦١

(٤) - سورة الرحمن : ١٩

"الحيوان"

لقد اشتمل القرآن الكريم على آيات كثيرة تتحدث عن الحيوانات ولن يكن الحديث عن جميع الآيات ، بل بعضها .

يقول تعالى ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً سائغاً ﴾ (١) .

فسرت الآية : أن الله عز وجل " يخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته ما بين فرث ودم في باطن الحيوان ، فيسري إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته فيصرف منه دماً إلى العروق ، ولبناً إلى الضرع ، وبولاً إلى المثانة ، وروث إلى المخرج ، وكل منها لا يخالط الآخر بعد انفصاله عنه ولا يتغير به " (٢) .

وفُسِّرَت أيضاً أن الله عز وجل يخلق اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله ، فإذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها ، طبخته فكان أسفل فرثاً وأوسطه لبناً ، وأعلاه دماً والكبد مسطرة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقي الفرث في الكرش " (٣) .

وهذا التفسير الأخير لسبب أدري كيف فسرت به آيات الله العزيز الحكيم ، فهو تفسير لها بالرأي مبني على غير علم .

(١) - سورة النحل : ٦٦

(٢) - تفسير ابن كثير ٢ / ٥٥٥

(٣) - عبد الكريم الخطيب - إعجاز القرآن - ص (٢٨٢) ١٩٦٢م - دار الفكر - القاهرة .

ويقول العلم عن كيفية خروج الحليب من الثدي : إن الحليب يتم تصفيته من الفضلات وذلك بعد الهضم ونزول السائل الحليبي إلى الأمعاء إذ تقوم الزغيبات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحة إياها في الدم وبقيّة الفضلات في الأمعاء حيث تطرح خارج الجسم ، أما المواد الممتصة التي طرحت في الدم فإنّ قسماً منها يغذي الجسم وقسماً آخر تصفّيه الغدد اللبنية من الدم ، وترسله إلى الضرع حليباً خالصاً سائغاً للشاربين .

فالحليب المادة اللبنية الناتجة عن الكيلوس ، وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء ، يخرج من فرث الفضلات ، والدم ^(١) . أنظر كيف مضت السنين منذ ١٤٠٠ سنة ليأتي العلم بحقائقه الناصعة فإذا بها تتطابق مع معطيات القرآن الكريم وما فيه من نصوص السنة الالهية تطابقاً تاماً ، وهذه السنين لم تزد هذا التقرير القرآني وغيره كثير إلا رسوخاً وصدقاً ولم يظهر في هذه التقارير أو أي جزء منها أي تفاوت أو اضطراب أو تناقص مع حقائق العلم الراسخة فهذه الحقيقة لو كانت من قول البشر لما سلمت من التناقص ولو بشيء يسير مع معطيات العلم الحديث ، ولكنه القرآن . ^(٢)

فقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أمور كثيرة عن الحيوان ، فهو قد يشير إلى كيفية خروج اللبن من الضرع وكيف يكون ؟؟ كما في المثال السابق وقد يشير إلى المنافع التي يحصل عليها الإنسان من تسخير هذه الدواب ركوباً وحمللاً ولباساً وطعاماً وشراباً وزينة ، فهي مسخرة للإنسان مذلّة له منقادة ، وإن ظاهرة انقياد الحيوان للإنسان ظاهرة تستدعي الشكر للمنعم الذي جعل فيها هذه الطبائع ولولا وجود هذا الطبع فيها لما استطاع الإنسان إلى التغلب عليها سبيلاً ^(٣) .

(١) - سعيد حوى - الرسول صلى الله عليه وسلم - الطبعة الثالثة - ١٩٧٤ - بيروت - دار الكتب العربية .

(٢) - مصطفى الدباغ - وجوه من الإعجاز القرآني - ص (١٠٥ - ١٠٦) . الطبعة الأولى ١٩٨٢م

(٣) - مصطفى مسلم - مباحث في أعجاز القرآن - ص (١٩١) مرجع سابق .

قال تعالى ﴿ أولم يروا أن خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ (١) .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله :

"إعلم وفقك الله وإيانا أن الله خلق البهائم لمنافع العباد وامتناناً عليهم... فخلقها سمعية بصيرة ليبلغ الإنسان حاجته لأنها لو كانت عمياء صمماً لم ينتفع بها الإنسان ولا وصل بها إلى شيء من مآربه . ثم منعت العقول والذهون من حكمة الله ، لتذل للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدّها عند حاجته في الطحن وحمل الأثقال وإلى غير ذلك ، أما ترى الحمار يذل للحمولة والطحن ، والبعير لا تطيقه عدة رجال لو استعصى وينقاد لصبي صغير ، والثور الشديد يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ليستحرضه ، والفرس تركب وتحمل عليها السيوف والأسنة في الحروب وقاية لراكبها ، والقطيع من الغنم يرهاها صبي واحد ، فلو تفرقت فأخذت كل شاه منها جهة بنفورها ، لتعذّرت رعايتها ، وربما أعجزت طالبها ، وكذلك جميع الحيوانات المسخرة للإنسان ، وما ذلك إلا إنها عدمت من العقل والتروي فكان ذلك سبباً لتذليلها (٢) . ويلفت القرآن الكريم النظر إلى أمور أخرى تتعلق بالحيوان لأنه لا يعقل ولا يفكر كيف يكسب عيشه قال تعالى ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ (٣) . وقال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ (٤) .

(١) - سورة يس : ٧١

(٢) - الغزالي - الحكمة في مخلوقات الله - ص (١٠١) .

(٣) - سورة العنكبوت : ٦٠

(٤) - سورة هود : ٦

يقول الامام الغزالي رحمه الله في ذلك : " ولما كانت البهائم لا أذهان لها - ولا أكف ، ولا أصابع تهيأ للأعمال ، كفيت مؤنة ما يضربها ، بأن جعلت كسوتها في خلقها باقية عليها ما بقيت فلا تحتاج إلى استبدالها وتجديدها بغيرها ، بخلاف آدمي فإنه ذو فهم وتدبير ، وله أعضاء مهياة لأعمال ما يقترحه وله في أشغاله بذلك صلاح ، وفيه حكمة ، فإنه خلق على قابلية لفعل الخير والشر ^(١) .

تأمل أيها الإنسان إن الله عز وجل يأمرك بالتفكر في آلائه ومخلوقاته لتتوصل عن طريق هذا التأمل والتفكر إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ولتعبدته على أرضه حق عبادته، ثم انظر أيها الانسان إن ربك حينما يخاطبك في كتابه الكريم يشير لك إشارات إلى بعض معجزاته في مخلوقاته ، لينبئك إلى بعض مواطن التفكير والتدبر علك تتوصل يوماً إلى هدايته التي خلق العباد من أجلها فاتبعوا أهواءهم وانحرفوا عنها ، رغم ما يجدونه من تأثير الحق فيهم ، فهم لا يذعنون إلى تأثير الحق بل يذعنون إلى تأثير الباطل، رغم أن تأثير الباطل وقتي يزول بخلاف تأثير الحق الذي يلزم الانسان طيلة حياته . ومع ذلك ينصرف عنه «يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم» ^(٢) .

(١) - الغزالي - الحكمة في مخلوقات الله - ص (١١٢) .

(٢) - سورة الانفطار : ٦

" أمثلة تطبيقية لكل ماسبق "

أولاً : - في خلق الإنسان : -

الآيات كثيرة والعبر فيها عظيمة - والتأثير حاصل منها . في كل جزئياتها ، ولكن بعض الآيات قد أودع الله فيها أسراراً قد يمر عليها فيقرأها من ليس لديه علم بها فلا يتأثر منها كتأثر من فهمها الفهم الصحيح ، أو من فهم منها أشياء قد بذل بعض الجهد حتى توصل إليها ، من ذلك قوله تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله عزيز حكيم ﴾^(١) . في هذه الآيات إشارة إشتملت على إعجاز من إعجاز الله في خلقه لا يكتشفه إلا من تخصص في دراسة الطب وعلى وجه أدق في الأمراض الجلدية والحساسية الجلدية - فماذا يكتشف من هذه الآية ؟ .

إن هذه الآية الكريمة نزلت من لدن عليم خبير بكيفية خلق الانسان ، العليم بتركيب هذا الجسم وكيف تعمل الأجهزة العصبية فيه ، فكانت الآية الكريمة إشارة واضحة على أن العذاب يتركز على الجلد فهو منطقة الإحساس لدى الإنسان ، فكان العذاب يشتد بتبديل الجلود كلما احترق الجلد أبدل جلد آخر ، يزداد العذاب عليه ، وإلا فالله عز وجل قادر على أن يحرقه كله ثم يعيده من جديد ، ولكن العذاب الأليم يحصل له باحراق جلده ثم إعادة الجلد مرة أخرى . هذه الآية حينما قرأها أحد الأطباء الأوربيين أدرك أن وراء هذه الآية حقيقة علمية لم تكن معلومة للناس وقت نزول القرآن ، فعلم من خلال دراسته للطب أن العذاب يزداد مراراً وتكراراً بتبديل الجلد ، فأيقن أن هذا الكلام لا يصدر إلا من خبير عليم بتركيب الجسم البشري ، وطالما ان الذي جاء به رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب فلا شك أنه مرسل من عند الله عز وجل فأسلم^(٢) .

(١) - سورة النساء : ٥٦

(٢) - انظر محمد اسماعيل ابراهيم - القرآن وإعجازه العلمي - ص (٤٦ - ٤٧) .

ثانياً : -

" في الكون " :-

في القرآن الكريم سور كان الحديث فيها عن حوادث عظيمة تحدث في هذا الكون مؤذنة بنهايته ، ومنادية بحدوث حدث آخر تستمر الحياة بعده فلا تزول ، قال تعالى ﴿ إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجّرت ، وإذا النفوس زوجت ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ إذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت ﴾ (٣) .

هذه ثلاث سور في القرآن الكريم بدأت في حديثها عن أهوال يوم القيامة، بل تأمل أيها القارئ الكريم - أسماء هذه السور فهي تدل على حدوث أمر عظيم ، فالأولى التكوير ، والثانية الانفطار ، إنفطار الكون ، والثالثة الانشقاق ، إنشقاق السماء ، وهي سقف هذا الكون العظيم .

إن الآيات الكريمات تنقلك إلى أحداث سوف تكون في نهاية هذا العالم الدنيوي - وتصور لك جميع ما يحدث بالتفصيل ، من الذي نقل لك أحداث أمر مستقبلي غيبي لاتعلم عنه شيئاً بل إنه يصف لك دقائق سوف تحصل في ذلك اليوم إنه الله عز وجل .

(١) - سورة التكوير : ١ - ٧

(٢) - سورة الانفطار : ١ - ٤

(٣) - سورة الانشقاق : ١ - ٥

وهذه الآيات تدل على إعجاز عظيم حيث تصف لك بعض أهوال يوم القيامة "وأنت في عمرك الزمني الدنيوي"، فضلاً عن أن هذه الآيات تشير بداخلها إلى إعجاز آخر فتأمل قوله تعالى ﴿فإذا النجوم طمست﴾^(١). وقوله تعالى ﴿فإذا الكواكب انتثرت﴾^(٢). في هذه الآية يقول العلماء إن النجوم ليست كالكواكب فالنجم مشتعل بنفسه متوهج، فإذا أراد الله له النهاية يطمس وهجه وشعلته، بخلاف الكواكب فإنه جسم مظلم يضيء بغيره أي يعكس الضوء، فإذا أراد الله له النهاية فجره فتناثرت أجزأوه في الكون^(٣). هكذا فالقرآن الكريم كل ما فيه من آيات معجزة بذاتها، ولكن من يفهم القول ويتدبره، ولكن من يعي خطاب الخالق للمخلوق الذي يريه العبرة ويريه الإعجاز في كل شئ.

إن الله عز وجل يخاطب الإنسان على قدر عقله فاختر له من اللغات أوضحها وأبينها، لعله يهتدي أو يحسن مع الله قولاً. والسور القرآنية التي سبق ذكرها تصف لك نهاية الكون بعبارات موجزة - لاتخلو من الدقة، كما أنها تحمل لك أيها الإنسان في طياتها الأوامر والنواهي التي كلفت بها من قبل ربك رب العالمين. فالتأثير في الآيات القرآنية السابقة الذكر واضح، وتستطيع الأفهام السليمة أن تستجليه بمجرد التأمل والتفكير والتدبر هكذا هو كتاب الله عز وجل القرآن الكريم.

(١) - سورة المرسلات : ٨

(٢) - سورة الانفطار : ٢

(٣) - من شريط "فيديو" للشيخ عبدالمجيد الزنداني، بعنوان "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم".

” البحار ”

وكتاب الله تحدث عن البحار حديثاً ، فأشار إلى لطائف إعجازية اكتشف العلم الحديث - أن بشراً لا يستطيع ان يقول ذلك ، فما بالك إن كان هذا البشر أمياً ، وقد كانت تلك الآية سبباً لهداية بعض الناس الذين لهم خبرة طويلة في مجال البحار ، قال تعالى ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ (١) .

فالبحر اللجّي : هو البحر العميق كثير الماء ، فقد كشف العلم الحديث أن تلك البحار في قاعها ظلمات شديدة ، حتى إن المخلوقات الحية التي تعيش في هذه الظلمات تعيش بدون آلات بصرية وتعتمد على السمع ، كما كشف العلم الحديث أنه هناك موجاً داخلياً يغشى البحر وهو أطول وأعرض من الموج السطحي وقد تمكن الباحثون من تصوير هذا الموج بالأقمار الصناعية ، وهذه الظلمات الحالكة لا توجد في ماء البحر الذي يحيط بالجزيره العربية (٢) .

” وهذه الظلمات هي نتيجة ” (٣) : -

- ١ - كثرة الماء الذي هو ﴿ بحر لجي ﴾ .
 - ٢ - الموج الداخلي الذي يعكس الأشعة فلا يسمح لكثير منها بالنفاذ إلى أسفل
 - ٣ - الموج السطحي الذي يعكس الأشعة فلا يسمح لكثير منها بالنفاذ إلى أسفل .
 - ٤ - السحاب الذي يحجب كثيراً من الأشعة فلا يسمح لها بالنفاذ إلى أسفل .
- فهي ظلمات بعضها فوق بعض . وأسبابها المنشئة لها بعضها فوق بعض .

(١) - سورة النور : ٤٠

(٢) - عبدالمجيد الزنداني - توحيد الخالق - (ص ٢ / ٢٤٤) - ط - الثانيه ١٤٠٩ هـ - مكتبة طيبة - المدينة المنورة .

(٣) - المرجع السابق - (ص ٢٤٥) .

فهذه الآية حينما سمعها ربان بحري كان يجول البحار ويشاهد أحوالها ومظاهرها ليلاً ونهاراً وما تتعرض له من عواصف وسحب وأمواج متلاطمة ورياح عاتية وظلمات وغير ذلك مما كابده خلال سنين عمله في البحار والمحيطات .

قال في نفسه إن أحداً لا يستطيع أن يصف هذا الوصف الدقيق لأحوال البحار وظواهرها الجوية إلا من كان بحاراً شق عباب الماء وعاین تقلبات الأحوال فيه وأن محمداً ﷺ، الذي نزل عليه هذا الكلام لم يكن في يوم من أيامه بحاراً كما أنه لم يركب البحر في حياته وعاش في وسط الصحراء البعيدة كل البعد عن عالم البحار خاصة العميقة منها وكثيرة الماء ، فأيقن في قرارة نفسه أن هذا الكلام لا يقوله إلا من هو خبير عليم بأحوال الأرض كلها ، المطلع على جميع أسرارها إنه الله سبحانه وتعالى .

فآمن بأن محمداً رسول الله حقاً^(١) .

(١) - انظر د . محمد إبراهيم الجيوشي - دراسات قرآنية - ص (٩٨ - ٩٩) - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

رابعاً : - " في الحيوان "

قد يقول القائل لماذا اختير الحديث عن الحيوان ؟ والجواب واضح في ذلك لأن كتاب الله عز وجل لم يترك شيئاً يلفت أنظارنا فيه إلى الهداية وإلى الحق وإلى النور والصراط المبين إلا أشار إليه ولو بآية واحدة .

ودراسة الحيوان أصبحت في العصر الحديث لها علم يسمى علم الحيوان ، فالله عز وجل لم يخلق شيئاً في هذه الدنيا عبثاً وسدى وإنما خلقها سبحانه لحكمة هو يعلمها فهمنا ذلك أو لم نفهمه .

لقد أثبتت دراسات علم الحيوان ما أشار إليه القرآن الكريم من أن مجتمعات الحيوانات تسودها أسس ونظم حياة تماماً كمجتمعات البشر ، حتى إن علم الحيوانات يقسم المملكة الحيوانية إلى قبائل ، والقبائل إلى رتب ، وما زال العلم يكتشف المزيد من هذه الأمبراً وبحراً وجواً (١) . قال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٢) .

وقد دعانا القرآن الكريم إلى التأمل في سلوك الحيوانات وغيرها لنرى كيف ألهمها الله إلى التعايش والتفاعل مع غيرها من الكائنات والتكيف مع البيئة لتبقى وتتكاثر ، قال تعالى ﴿ قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٣) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ﴾ (٤) .

إنه القرآن الكريم كتاب الله الذي ماترك وسيلة للتأثير ومظهراً من مظاهره إلا ارتسم فيه نهجاً واضحاً ليرشد به العقول التائهة ولينير لهم به الطرق المظلمة ولكن من لم يرد الله له نوراً فماله من نور .

(١) - انظر د . نبيل عبدالسلام هارون - كشف الاعجاز العلمي في القرآن والسنة - ص (٢٥-٢٦) - مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

(٢) - سورة الانعام : ٢٨

(٣) - سورة طه : ٥٠

(٤) - سورة الأعلى : ٢ - ٣

الفصل الخامس :

أسباب الإعجاز التأثيري في القرآن

ويشمل :

- المبحث الأول : أسباب تعود إلى القرآن .
- المبحث الثاني : أسباب تعود إلى القارئ والمستمع .
- المبحث الثالث : أسباب عدم إستجابة بعض المدعوين
(أصنافهم ، مظاهر صدودهم) .

" أسباب تعود إلى القرآن الكريم "

لاشك أن القرآن الكريم له تأثير عجيب على نفوس قارئيه ومستمعيه ، فقلّما استمع مستمع له إلا وجد نفسه مشدوداً إليه ، يرغب في المزيد من الاستماع له خصوصاً إن كان لهذا المستمع أو القارئ معرفة بخصائصه البلاغية أو مافيه من معارف كونية أو تشريعية^(١) ، أو غير ذلك من العلوم التي احتواها كتاب الله ، الذي قال الله عز وجل عنه ﴿ مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(٢) ، وقد سجلت كتب السير^(٣) بعضاً مما كان من تأثير القرآن على نفوس أعدائه قبل اتباعه ، وكذلك سجلت كتب السير أن من أتباع القرآن من كان لا يستطيع الاستمرار^(٤) في قراءته مما - يجده في نفسه من تأثير يتضح من كثرة بكائه .

وقد تحدث البحث في الفصول السابقة عن بعض مظاهر الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم ، إن لم تكن أبرزها .

وأسباب التأثير في القرآن الكريم تعود لأمر كثيرة أذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر :-

١ - أن القرآن الكريم كتاب منّزل من الله عز وجل خالق كل شيء ، الذي خلق الإنسان وهو أعلم به والقادر على كل شيء ، كما أن القرآن قطعي الثبوت .

(١) - انظر محمد الجيوش - دراسات قرآنية - مرجع سابق - ص (٨٥) .

(٢) - سورة الانعام : ٢٨

(٣) - انظر السيرة لابن كثير - حيث أورد قصة تأثر عتبه ، والوليد .

(٤) - انظر السيرة لابن كثير - حيث ذكر ذلك عن أبي بكر رضي الله عنه .

(٥) - سورة ق : ١٦

قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل

الوريد ﴾ (١) .

٢ - أن القرآن الكريم يهدي إلى سبيل السلام ويخرج الناس من الظلمات إلى النور قال

تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام

ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٢) . وقال تعالى ﴿

الر ، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط

العزيز الحميد ، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وويل للكافرين من عذاب

شديد ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ،

وأن الله بكم لروؤف رحيم ﴾ (٤) .

فالقرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاب فن يصف لك فنوناً من العلم - ولذلك تقوم

الحجة بسماعه فقط قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام

الله ﴾ (٥) .

٣ - أن القرآن الكريم محكم ومفصل : فهو محكم كل الأحكام ومبين ، كل البيان في

أصول الدين وكيالاته وأسس ومبادئه وفي جميع الأمور التي تمس إليها خاصة الإنسان في فلاح

دنياه وسعادته فيها وفي نجاته وسعادته في الآخرة.

(١) - سورة ق : ١٦

(٢) - سورة المائدة : ١٥ - ١٦

(٣) - سورة إبراهيم : ١ - ٢

(٤) - سورة الحديد : ٩

(٥) - سورة التوبة : ٦

ليس فيه إبهام أو غموض ولم يدع تفصيلاً ولا توضيحاً إلا أودعه (١) .

٤ - إن القرآن الكريم يخاطب عقل الإنسان وقلبه وروحه .

٥ - إن القرآن الكريم دقيق في وصفه وفي تشبيهه .

٦ - إن القرآن الكريم واقعي التعبير ، أي " أنه واقعي حين نزوله بالنسبة للعربي ثم

بالنسبة للإنسانية بعد ذلك " (٢) .

والواقعية في الصياغة متعددة الجوانب مختلفة الأبعاد ، فهي تهجم علينا من جهات شتى ، فهي أولاً تخاطبنا بلغة نفهمها ، وبألفاظ ندركها ، وبصيغ وجمل وعبارات لا ترتفع على أذواقنا ، وتتجلى الواقعية بالنسبة لألفاظ القرآن في قوة الدلالة على المعنى ومطابقتها وانسجامها معه فهي كالثوب يفصل تفصيلاً لا يطول ولا يقصر ولا يضيق ولا يتسع ، وتتجلى الواقعية اللفظية في شدة ارتباط اللفظ القرآني بمعناه ، وتتجلى كذلك في انسجام الكلمة مع الجو النفسي والروحي الذي سبق له الكلام فلا تنبو أو تشذ (٣) .

وجمال التعبير القرآني يجعل للتأثير قوة ، فالقرآن الكريم ليس كتاب فلسفة يقف عند حدود سرد المقدمات واستنتاج النتائج في أسلوب متقعر أو جاف متحجر ولا يخاطب القلب وحده ، لأنه ليس كتاب أدب يعذب فيه الكذب ويروق فيه الخيال المفرط وإنما هو كتاب هداية كما سبق ذكره . وهو منهاج حياة (٤) ، يهدي الناس إلى الخير والحق وإلى صراط مستقيم .

٧ - إن القرآن الكريم في خطابه يرضى العامة والخاصة أي الأمي والمتعلم كل يجد فيه

زاده ورغبته .

(١) - أبو الحسن الندوي - المدخل لدراسة القرآن الكريم - ص (١٨-١٩) / ط. أولى - دار الصحوة للنشر - الفقرات السابقة .

(٢) - توفيق محمد السبع - واقعية المنهج القرآني - ص (٤٢٠) - ط الثانية - ١٤٠٢هـ - دار المختار للنشر - الرياض .

(٣) - المرجع السابق - ص (٤٣٢) .

(٤) - د . محمد بكر اسماعيل - دراسات في علوم القرآن - ص (٢٨٧) . الطبعة الأولى ١٤١١هـ . دار المنار - القاهرة .

٨ - " سلامة القرآن من السّامة والملل فيما يعرضه من حوادث وقصص وجدال وغيره ،

ولا اختلاف فيه " (١) .

٩ - إحتواء القرآن الكريم على حقائق علمية اكتشف العلم الحديث بعضها فلا يزال

العلم في طريقه إلى التوصل إلى حقائق أخرى لا يخلو القرآن منها .

وإذا وُجّه النظر إلى الغرب لإستجلاء أسباب إسلام بعضهم أو عن أقوال بعض

المستشرقين عن كتاب الله الخالد القرآن الكريم نجد الآتي : -

قال الدكتور الفرنسي " جرينيه " عن سبب إسلامه :

" إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية

والطبيعية والتي درستها منذ صغري وأعلمها جيداً فوجدت هذه الآيات منطبقة كل

الإنطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت ، لأنني تيقنت أن محمد ﷺ أتى بالحق

الصراح ، من قبل أكثر من ألف عام ، ولو أن صاحب كل علم من العلوم قارن كل الآيات

المرتبطة بما تعلّم جيداً كما قارنت لأسلم بلا شك إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض (٢)

ويقول المستشرق " سيل " : -

" إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، وفي كثير من نواحيه نجد الأسلوب عذباً وفخماً

وبخاصة عندما يتكلم عن عظمة الله وجلاله ، ومن العجيب أن القرآن يأسر بإسلوبه هذا

أذهان المستمعين إلى تلاوته ، سواء منهم المؤمنين به أو المعارضين له ، ويفسر المعارضون

ذلك بقولهم " إنهم قد سحروا بالقرآن وأسلوبه فأنصتوله وأعجبوا به " (٣) .

(١) - أنور الجندي - مدخل القرآن الكريم - (ص ١١١) . مرجع سابق .

(٢) - نبية زكريا عبده - كيف نحيا بالقرآن - (ص ١٧) الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - دار الحرمين - الدوحة - قطر

(٣) - المرجع السابق - (ص ١٦) .

وتقول الدكتورة " لوريا " عن القرآن في كتابها " دفاع عن الإسلام " :-

" إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أيما إحساس بالملل ، على العكس ، إنه من طريقة التلاوة المكررة - يحسب نفسه للمؤمنين أكثر فأكثر يوماً بعد يوم ، إنه يوقع في نفس من يتلوه أوصفي إليه حساً عميقاً من المهابة والخشية ، إن في امكان المرء أن يستظهره في غير عسر - حتى إننا لنجد اليوم - على الرغم من انحسار موجة الإيمان - في نظرها - آلافاً من الناس قادرين على ترديده عن ظهر قلب ، وفي مصر وحدها عدد الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها" (١).

هؤلاء هم بعض من اعترف بتأثير القرآن الكريم من الغرب لو تتبعنا ذلك لوجدنا الكثير - فالعربي قد سجد حينما سمع قوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ (٢) . قيل له ولماذا سجدت قال لفصاحته (٣) ، فكان سبب لتأثير في نفس الأعرابي هو الفصاحة .

هكذا نجد أن أسباب التأثير التي تعود إلى القرآن الكريم نفسة كثيرة ومتعددة بحسب حال السامع وفهمه - فمنهم قد يتأثر ويوله ببلاغته - ومنهم من تأسره هيئته عندما يتحدث عن عظمة الخالق ، ومنهم من يكون سبب التأثير مافيه من تشريعات محكمة ، وعلوم ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ (٤) . ومنهم من تؤثر فيه قصص الأمم السابقة ومافيه من عبر وعظات وماتحتويه من إشارات على قدرة الخالق سبحانه .

(١) - المرجع السابق - ص (١٨) .

(٢) - الرافعي - اعجاز القرآن والبلاغ النبوية - مرجع سابق ص (٣٠٥) .

(٣) - سورة الحجر : ٩٤ .

(٤) - سورة ق : ٢٩ .

المبحث الثاني : -

" أسباب تعود إلى القارئ والسماع "

أما القارئ والمستمع فإما أن يتأثر بكتاب الله عز وجل وهذا أمر طبيعي وإما أن لا يتأثر به فيكون قد صرفه عن ذلك صارف ، والقرآن كله حق ، وموانع قبول الحق قد تحدث عنها العلماء وأشار إلى كثير منها القرآن الكريم ، وهناك مويّدات تجعل القاري يزداد تأثراً بكلام الله عز وجل تأثيراً بالغاً ، ومن هذه المؤيّدات ^(١) مايلي : -

١ - الرغبة والطلب : إن من سنه الله عز وجل أنه يعطي السؤال ، إن كان السؤال

بقلب ورغبة .

قال تعالى ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى ﴿ ويهدي إليه من ينيب ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ^(٤) .

٢ - الاستماع والاتباع : -

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ودعوة وإصلاح ، فمن أراد إتباع القرآن تأثر به وبما فيه من عبر وعظات وحكم وأمثال وغير ذلك .

قال تعالى ﴿ فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم ألو الألباب ﴾ ^(٥) .

(١) - انظر ابو الحسن الندوي - المدخل للدراسات القرآنية - ص (١٣٧ - ٤٥) مرجع سابق .

(٢) - سورة الرعد : ٢٧ (٣) - سورة الشورى : ١٣

(٤) - سورة الرعد : ١١ (٥) - سورة الزمر : ١٨

٣ - الخشية والرهبة :-

من فرح قلبه من خشية الله ، لا يكون لكتاب الله عز وجل ولا لذكره أيما تأثير فيه ، وكان كالأنعام بل هو أصل منها ، خسر الدنيا والآخرة . قال تعالى ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾^(١) .

وقال تعالى ﴿ إنما تنذر من إتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ﴾^(٢) .

٤ - الإيمان بالغيب :- ذكر فيما سبق أن مما يقع فيه الإنسان من التأثير بكتاب الله

عز وجل أن لا يؤمن بالغيب ولا باليوم الآخر - وهو من الغيب - قال تعالى ﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾^(٣) .

٥ - التدبر :- النظر في كتاب الله عز وجل وتأمل ما فيه عامل قوي من عوامل

التأثير ، قال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾^(٤) .
وقال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾^(٥) .

(١) - سورة ق : ٤٥

(٢) - سورة يس : ١١

(٣) - سورة البقرة : ٢، ٣

(٤) - سورة محمد : ٢٤

(٥) - سورة النساء : ٨٢

٦ - **المجاهدة** : - مما يفيد في تدبر كتاب الله عزوجل وفهمه والتأثر به ، المجاهدة

وتحمل المشاق في سبيل فهمه ، فالقرآن ليس من الكتب البشرية التي يمكن أن يحاط بعلمها ، بل كتاب من لدن حكيم عليم . قال تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين﴾^(١) .

أما إن كان المتأثر مسلماً ، يعلم أن هذا الكتاب منزل من عند الله عزوجل فإن التأثير يزداد لديه إذا راعى مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم، كمعرفة الأهداف الأساسية للقرآن ، أن تكون نظرتة شمولية لكتاب الله عزوجل ، وأن يلاحظ المهمة العملية الحركية^(٢) للقرآن الكريم ، وغيرها من العوامل مما جاء في كتب الدراسات القرآنية .

أما موانع قبول الحق والتي تؤدي إلى عدم التأثير بكتاب الله عزوجل :-

١ - نقص المعرفة بالشئ أو عدم الإحاطة به .

قال تعالى ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾^(٣) .

وقال تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله﴾^(٤)

(١) سورة العنكبوت : ٦٩

(٢) - انظر على سبيل المثال . د. صلاح الخالدي - مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم، ص(٦٧ وما بعدها)

- ١٤٠٦ - ١٩٨٥ م - دار المنار - الزرقاء الاردن .

(٣) - سورة الإسراء : ٣٦

(٤) - سورة يونس : ٢٩

٢ - قيام مانع أخلاقي يمنع من قبول الحق كالكبر والحسد فأبليس لعنه الله امتنع عن الانقياد للحق والسجود لآدم كما أمره بسبب حسده وكبره قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ، أَأُرِيكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُ عَلَيْكَ لَنْ أَخْرَجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذَرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

وفي زمن الرسول ﷺ نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذا المانع لدى اليهود ، قال تعالى ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

٣ - مانع حب الرئاسة والملك : -

يكون هذا المانع لدى الحكام والسلاطين ، كحال هرقل وأحزابه من ملوك الكفار الذين سمعوا الحق ولم يذعنوا له .

وهذا الداء قد تحدث عنه القرآن الكريم من خلال شخصية فرعون ، قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ، قَالُوا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِثْلَ بَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ (٣) .

٤ - حب الشهوة والمال : -

قال تعالى ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَتَابِ ﴾ (٤) .

(٢) - سورة البقرة : ١٠٩

(١) - سورة الأسراء : ٦١ - ٦٢

(٤) - سورة آل عمران : ١٤

(٣) - سورة المؤمنون : ٤٥ - ٤٨

وقد كانت قريش تصد الرجل عن الإيمان بحسب شهوته فكانوا يقولون لمن يحب الزنا إن محمداً يحرم الزنا ولن يحب الخمر إن محمداً يحرم الخمر، فكان ذلك صارفاً لهم عن قبول الحق والتأثر به .

٥ - التخيل أن في اتباع الحق ازدراءً وطعناً في الآباء والأجداد فلقد منع ذلك أبا طالب وأمثاله عن الاسلام ، وعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهد عليهم بالكفر والضلال وأن يختاروا خلاف ماكان عليه الآباء والأجداد ولو كان غير الحق .

٦ - بغض جماعة معينة قد يمنع من قبول الحق : -
فبعض الناس يمنعه من قبول الحق أن الذي جاء به فلان ولا يتأثر لكتاب الله عزوجل لأن الذي يقرؤه فلان، فاليهود منعهم من قبول الحق أيضاً كون النبي عربي ولم يكن من بني إسرائيل كما كانوا يظنون .

٧ - الإلف والعادة : يكون كذلك من موانع قبول الحق الإلف والعادة - فما ألفة الإنسان وسار عليه طول عمره قد لا يحب أن يغيره إلا بصعوبة ، مالم تكن نفسه تريد البحث عن الحق وقبوله .

٨ - وقد يؤدي كذلك إلى عدم قبول الحق حب الأهل والعشيرة والقبيلة والدار التي نشأ فيها والوطن فهذه بعض من موانع قبول الحق ، التي تجعل الانسان لايتأثر بالحق ولا يقبله^(١) ومن الاسباب التي تؤدي الى عدم التأثر بالقرآن الكريم عدم الإيمان بالغيب ، وباليوم الآخر ، وذلك لأن القرآن الكريم من أسسه في الترغيب والترهيب ، والمواعظ والإصلاح ، هو الإيمان بالآخرة ، فهو يحذر من سوء العواقب في الآخرة ، ويرغب في ثوابها ونعائمها .

(١) - انظر - ابن قيم الجوزية - مفتاح دار السعادة - ص (١٠٤ - ١٠٧) - الطبعة الثالثة - ١٣٩٩هـ - مكتبة حميدو - الاسكندرية .

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا
• وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده
ولَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٣) .

فإذا زال المانع من قبول الحق والتأثر به ، فإن السامع يتأثر بكلام الله عز وجل ويزيد
تأثيره حصول المؤيدات السابقة الذكر فضلاً عن أن السامع إن كان لديه مؤيدات أخرى لهذا
التأثير فإنها يزداد بها تأثر الإنسان بكتاب الله أيما تأثير .

والأمثلة على تأثير القرآن في نفوس سامعيه ممن أرادوا الحق ورغبوا فيه كثيرة جداً ،
وقد أشارت إليها كتب السيرة كقصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد سماعه
لآيات من سورة طه ، وقد أسلمت الأوس والخزرج في المدينة بعد سماعهم كتاب الله
عز وجل يتلى بين ظهرانيهم ، وذلك بعد أن أرسل رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي
الله عنه إلى المدينة ليعلم من أسلم كتاب الله ويقرأه عليه فكان التأثير على المدينة كلها ،
وهكذا تأثير القرآن في كل زمان ومكان .

(١) - سورة الإسراء : ٤٥ - ٤٦

(٢) - سورة النحل : ٢٢

(٣) - سورة الزوم : ٧

" اسباب عدم إستجابة بعض المدعوين "

" اصنافهم - مظاهر صدودهم "

قد سبق الحديث في المبحث السابق عن بعض الأسباب التي تؤدي إلى عدم قبول الحق ، أو بتعبير أصح تمنع من قبول الحق والتأثر به ، وهذه الأسباب قد وُجد بعضها إن لم يكن كلها لدى من ناصبوا الدعوة الإسلامية . في أول عهد العداة وحاربوها بشتى ما يملكون من وسائل وطرق وإمكانيات ، وهؤلاء ليسوا صنفاً واحداً من الناس بل أصناف ، وهذه الأصناف هي : -

١ - كفار قريش (أو مشركو مكة)

٢ - اليهود في المدينة المنورة .

٣ - المنافقون في المدينة المنورة .

أولاً : - كفار قريش : - بادي ذي بدء أحب أن أشير إلى أن كتاب الله عز وجل قد أشار إلى نوعين من التأثير - النوع الأول وهو التأثير الإيجابي أي تأثير الهداية والنوع الآخر التأثير السلبي " العكسي " وهو يحصل من لا يريد الحق ولا يرغبه ولا يبحث عنه - ككفار قريش موضوع الحديث واليهود والمنافقون في المدينة ، قال تعالى ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ ^(١) . وقال تعالى ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ ^(٢) .

(١) - سورة الإسراء : ٨٢

(٢) - سورة فصلت : ٤٤

وقال تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ،

يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ (١) .

هكذا يصور القرآن الكريم بعضاً مما كان عليه الكفار حينما يسمعون كلام الله عز وجل .

وقد علم بعضهم أن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق وهو الدين الصحيح ولكن منعه من

ذلك حسده أن جعل الله عز وجل الرسالة في بني هاشم من عبد مناف ولم يجعلها في الفخذ

الذي هو منه ذلكم هو أبو جهل ، قال : عندما سئل عن رأيه فيما سمعه من الرسول ﷺ " .

ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ،

واعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا ، على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه

الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ! والله لانسمع به ولا نصدق " (٢) ، فكان السبب

الذي صرف أبا جهل وأتباعه من قبيلة هو حسدهم أن جاء من بني عبد مناف نبي ، ولا

يستطيعون أن يأتوا بنبي مثله

وكذلك من أسباب صدود كفار قريش عن سماع الحق ، هو تعلقهم بالهتهم التي وجدوا عليها

أبائهم ، فهم يخشون من الازدراء والاحتقار لأنهم تركوا ما كان عليه الآباء والاجداد ﴿ إنا

وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ (٣) . وكفار مكة قد عاش النبي ﷺ بين

أظهرهم ثلاث عشر عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ ما كان عليه أبائهم من الأصنام

والأوثان إلى توحيد الله عز وجل ، ويسمعهم آيات الله عز وجل في كل مجمع وكل مناسبة وفي كل

مكان . من مكة المكرمة ، بل لقد دعاهم سرّاً وجرّاً ، ولكن هيهات إنك لاتهدي العمي ولا تسمع الصم الدعاء

(١) - سورة الحج : ٧٢

(٢) - انظر ابن كثير - السيرة النبوية - ج١ / ص (٥٠٦) تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة بيروت - ١٤٠٣ هـ .

(٣) - سورة الزخرف : ٢٣

فقد عاندوا وكابروا وحاولوا الكيد للدعوة وإيذاء المؤمنين - بكل وسائل الإيذاء الممكنة لهم ، من تعذيب جسدي - وقتل وتجويع وتشريد ، حتى هموا بقتل الرسول ﷺ ، ولكن الله ناصر رسله ومنجز وعده ، فقد أسمعهم آياته وأقام عليهم الحجة ونشر دينه في كل بقاع الأرض شاء الكافرون ذلك أم أبوا ، «والله متم نوره ولو كره الكافرون» . فقد هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة «يثرب» قديماً ، وكان له شأن آخر مع الدعوة ، فقد أرسله الله عزوجل إلى أعداء آخرين هم اليهود الذين كانوا في المدينة ، وظهر عدد من بينهم هم المنافقون .

ثانياً : - اليهود

لقد كان اليهود في المدينة المنورة ينتظرون ظهور النبي ﷺ من بينهم حسب ما وجدوا في كتبهم ، ولم يكن يتوقعون أن يكون هذا النبي من العرب ومن مكة المكرمة (جبال فاران) وماذاك إلا لتحريفهم ما في كتبهم من جهة ولعدم فهمهم مراد الله من البشارة بظهور النبي من الجزيرة العربية .

جاء النبي ﷺ إلى المدينة . فناصره العداء ولم يستمعوا إلى كلام الله عزوجل وإلى الحق سبحانه وتعالى . وماذاك إلا لحسد هم ، لأن النبي ﷺ ظهر من العرب ولم يكن من اليهود .

قال تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ (١) .

(١) - سورة البقرة : ١٠١

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكَمَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) .

وقد كان كذلك من أسباب عدم سماعهم الحق والتأثر به هو اتباع الهوى، ومن يتبع هواه فقد اتبع الضلال ما لم يكن هواه وفقاً لما جاء به الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدانه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون ﴾ (٢)

وقد كان اليهود في المدينة يثيرون الفتن والقلق بين المسلمين ويزرعون الشكوك في قلوبهم ، بأن محمداً ليس مرسلأ من الله عز وجل ، وإنما هو يدعي النبوة - كما يزعمون - وكانوا يتحينون الفرصة للانقضاض على المسلمين ، فلما كانت غزوة الأحزاب (الخندق) ، كانت لهم قصة مع المسلمين فلقد خانوهم وغدروا بهم ، فكان ذلك سبباً من الله لإجلائهم من المدينة ثم من جزيرة العرب كلها .

فأخزاهم الله ورد كيدهم في نحورهم ، وجعل شبههم في قلوبهم وطهر الجزيرة منهم ، وكتاب الله عز وجل يتلى في كل بيت من بيوت المدينة ، ولكن من أصر على الضلال كتب الله عليه الشقاء والهلاك والخسران ، فلم يكن لتأثير الحق عليه سبب في هدايته .

(١) - سورة آل عمران : ٢٢

(٢) - سورة البقرة : ٨٧

ثالثاً : - المنافقون .

وهم العدو الذي ظهر في المدينة من بين المسلمين لم المسلمون يعلموا عنهم شيئاً حتى أظهرهم الله عز وجل في كتابه وبين صفاتهم ، فكان لذلك أثره في النفوس المؤمنة لتزداد إيماناً ، وأثره على هؤلاء المنافقين ليزدادوا ضلالاً وعمى ويهديم نفاقهم إلى سبل أخرى من النفاق والزيغ والفساد قال تعالى ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾ • وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴿ (١) .

وقال تعالى ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً ﴾ (٢) .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا العدو ، وأبرز جميع مكنونات نفوسهم ، وأبرز كذلك أثارهم في تهبيط همم المسلمين ، إذا أرادوا نصرة الله عز وجل وكتابه ورسوله ، تأثراً بأمر الله ، وبكتابه ، ولكن المنافق كان ذلك منهجه وهذا ديدنه وتلك عقيدته ، فكتب الله عليه الشقاء في الدنيا والآخرة ، ولعنهم وأصمهم واعمى أبصارهم .

قال تعالى ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعانكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾ • الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا ، قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴿ (٣) .

(١) - سورة التوبة : ١٢٤ - ١٢٥

(٢) - سورة النساء : ٦١

(٣) - سورة آل عمران : ١٦٧ - ١٦٨

ونهاية هؤلاء القوم هو العذاب - كما سبق ذكره - قال تعالى ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾^(١)

هؤلاء هم المنافقون ، وهم موجودون في كل زمن وليس في بدء الدعوة الاسلامية فقط ، ومن صفات المنافقين في عصرنا الحاضر أن تجد المنافق يسعى لارضاء صاحب الأمر ^(٢) ، دون ارضاء مبادئ دينه وقيمه قال تعالى ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم ، والله ورسوله أحق أن يرضون ، إن كانوا مؤمنين﴾ ^(٣) .

كما تجد المنافق يستهدف الدنيا وحدها ، قال تعالى ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات ، فإن اعطو منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾^(٤) . هؤلاء هم المنافقون الذين كشف القرآن زيغ قلوبهم وانصرافهم عن تأثير الحق في نفوسهم ، بحثاً عن أهوائهم واطماعهم الشخصية وحباً في الحياة الدنيا ، قال تعالى ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾^(٥) . والقرآن الكريم مؤثر حينما خاطبهم ، وهو مؤثر حينما يصف ما فيهم من أمراض كيف لا ؟ وهو الكتاب الذي أنزل لتربية البشرية وتهذيبهم ليعرفوا كيف يعبدون خالقهم حق عبادته ، فهو سبحانه المستحق لذلك .

(١) - سورة الفتح : ٦

(٢) - سورة التوبة : ٥٨

(٣) - سورة التوبة : ٦٢

(٤) - انظر د . محمد البهي - القرآن الكريم يقول - (ص ٩٩ - ١٠١) - الطبعة الأولى - ١٣٩٩هـ - مكتبة وهبة - القاهرة .

(٥) - سورة البقرة : ١٠

الفصل السادس :

أهمية الإعجاز التأثري في القرآن الكريم للدعوة

ويشمل :

- المبحث الأول : أهمية الإعجاز التأثري للدعوة .
- المبحث الثاني : كيفية الاستفادة منه .

" أهمية الإعجاز التأثري "

" للدعوة "

لقد لا حظ القاري من خلال ماسبق أن التأثير أساس من الأسس التي احتوى عليها القرآن الكريم من أجل هداية البشرية ، في جميع ماذكر سابقاً من تشبيه وتصوير وقصص وموعظة وعبر وإعجاز علمي وتشريعي وغيرها ، وإن المتحدث عن أهمية هذا الموضوع بالنسبة للدعوة ، كالذي يقول ماأهمية القرآن الكريم للدعوة الاسلامية ؟ لاشك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للدعوة ثم يليه سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مكمل وشارحة وموضحة ، ولكن المتحدث عن التأثير في القرآن يتحدث عن جزء من أهمية هذا الكتاب ، فضلاً عن أنه سيحاول إيضاح كيفية الاستفادة من ذلك التأثير، فأهميته وكيفية الاستفادة منه وجهان متلازمان ، كلاهما مكمل للآخر فمن دراسة أهميته تبرز كيفية الإستفادة منه .

وتعود أهميته بالنسبة للدعوة لأنه دراسة للتأثير في القرآن الكريم . وإن المتحدث عن أهمية الإعجاز التأثري في - نظري - كالمتحدث عن أهمية القرآن الكريم ، مع الفارق بينهما أن الإعجاز التأثري فرع عن هذا الأصل وإن كان الفرع ، يحمل بعض صفات الفرع إلا أنه لا يصل إلى درجته . وتبرز أهمية الإعجاز التأثري من خلال خصائصه فهو : -

١- وبآتي : - فالقرآن الكريم كلام الله عزوجل المنزل على قلب نبيه

﴿محمد ﷺ﴾ والتأثير صفة ملازمة له .

٢ - **الكمال** : - أي أن هذا التأثير خال من النقص والعيب ولا يشك مسلم في كمال التأثير القرآني .

٣ - **الشمول** : - فالتأثير شامل لما في كتاب الله عزوجل - والقرآن الكريم - جامع لجميع شئون الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

٤ - **التوازن** : - فالتأثير في القرآن الكريم متوازن فهو لا يطفئ في جانب معين من القرآن ، بل نجده في جميع الجوانب التي سبق ذكرها (١) . ولوثأملنا مظاهر الإعجاز التأثيري التي تمت دراستها لوجدناها أنها تحوي جميع المناهج الدعوية من حيث الركائز .

فالمناهج الدعوية من حيث الركائز هي (٢) : -

١ - المنهج العاطفي .

٢ - المنهج العقلي .

٣ - المنهج الحسني أو التجريبي .

ذلك أن من أبرز خصائص كل منهج من هذه المناهج تأثيره في نفوس السامعين .

فالمنهج العاطفي يتميز " بسرعة تأثر المدعويين به واستجابتهم لمن يحسن استخدامه (٣) .

(١) - انظر د . عبدالكريم زيدان - أصول الدعوة - (ص ٤٦ ٧٢) ، الطبعة الثانية -

١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) - انظر د . محمد ابو الفتوح البيانوني - المدخل إلى علم الدعوة - (ص ٢٠٥) .

الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ - الرسالة بيروت .

(٣) - المرجع السابق - (ص ٢٠٧) .

والمنهج العقلي من خصائصه " عمق تأثيره في المدعوين ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقة " (١) .

والمنهج الحسي أو (التجريبي) من خصائصه " عمق تأثيره في النفوس ، لمعاينتها الشيء المحسوس ومن هنا قيل ليس الخبر كالمعاينة (٢) .
فالإعجاز التأثيري يخدم جميع المناهج الدعوية من حيث الركائز ، ذلك لأن من خصائصها التأثير .

والتأثير سمة بارزة من سماته ، وعنصر من عناصر إعجازه ، لذلك فإن على الداعية أن يراعي عند تحديد المنهج الذي سيتبعه مع المدعو أن يستفيد من مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن مراعيًا أخذ المظهر المناسب للمنهج الذي اتخذه ، محاولاً الاستفادة من أسلوب كل منهج والذي تتسم به مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم .

فالمنهج العاطفي من أساليبه (٣) : -

١ - الموعظة الحسنة .

٢ - الترغيب والترهيب .

٣ - قص القصص .

ومن أبرز أساليب المنهج العقلي : -

١ - المحاكمات العقلية والأقيسة ، بجميع ألوانها : -

قياس الأولى ، والقياس المساوي قياس الخلف (العكس) وهذه نجدها

في الإعجاز البياني أحد مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن .

(١) - المرجع السابق - ص (٢١٣) .

(٢) - المرجع السابق - ص (٢١٨) .

وتبرز أهمية كذلك لأن مظاهره تحتوي على الأحوال التي يجب أن تراعى عند مخاطبة المدعوين فمثلاً : -

أ - عند مخاطبة الجاهل ، أو صاحب القلب الضعيف كالنساء والأطفال أو دعوة الأبناء والأباء : يستعمل معهم الآيات المؤثرة في المواعظ والعبر والترغيب والترهيب .

ب - أما إن كان المدعو منكرًا للأمور الظاهرة ، والبدهيّات العقلية فيتخذ ، أسلوب القرآن الجدلي ، ومخاطبة عقل المدعو بالأدلة القاطعة الثابتة بنصوص الكتاب والسنة .

وإن كان المدعو عاقلًا منصفًا بعيداً عن التعصب المقيت فيراعى ذلك عند دعوته .
أما إن كان المدعو من العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية فيساعد على التأثير فيه ايضاح بعض الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن ، والاستشهاد بتلك الآيات مع ملاحظة حسن الأسلوب معه ، ويمكن تطبيقه في مجال الحوار ، وفي كل ظرف يمكن من خلاله الدعوة إلى الله يمكن استثمار ذلك بتذكير الناس بالآيات التي لها وقع شديد على النفوس .
فالداعية زاده وعماده هو كتاب الله عزوجل وسنة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه ، والقرآن الكريم قد شبهه الله عزوجل بالكلمة الطيبة ، والكلمة الطيبة تعمل في النفوس عمل السحر والموعظة الحسنة تأسر القلوب ، وتوثر فيها فتلين الجلود ، وتخضع القلوب وتطمئن النفوس " (١) .
لذلك فإن على الداعية أن يستعمل في كلماته وخطاباته ماثير رغبة المدعو إلى السماع إلى الإسلام رغبة واختياراً من حيث يعلم أو لا يعلم " والدواء بيديه وهو كتاب الله والطريقة معروفة وهي التأسي بالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه في الدعوة والصبر والثبات

المبحث الثاني : -

" كيفية الإستفادة منه "

إن الإستفادة من الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم هي تطبيق لشيء من هدايات القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم كتاب دعوة يهدف إلى هداية الناس إلى الصراط المستقيم . قال تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ (١) .

والاستفادة من كتاب الله عز وجل (في إعجازه التأثيري ، يمكن أن يتم من خلال عدة أنماط وذلك بحسب قدرة المرء على الإفادة من كتاب الله تعالى في هذا المجال . إن كتاب الله كتاب هداية - كما سبق ذكره - معروض للناس ليأخذ منه كل إنسان ويقتبس من أنواره ، ويهتدي بهدياته حسب طاقته وقدرته . والواقع أن هذا الكتاب ميسر للذكر والعبرة والموعظة والدرس ، ومن لم يستطع بإمكانه أن يقف منه على هدايات أخرى كثيرة .

ومن أوجه الاستفادة من الإعجاز التأثيري عن طريق استثمار النص القرآني ذاته ، وتوظيفه فيما أنزل من أجله وذلك بالعناية بما يأتي : -
- قراءته وتدبره .

- مخاطبة الداعية الناس به ، موقفاً إياهم على أسرار وأحكامه وحكمه .

(١) - سورة الأسراء : ٩

٢ - الإفادة مما اشتمل عليه القرآن الكريم من أنواع الإعجاز المتعددة .

وأمثلته كثيرة : فمثلاً حينما يريد الداعية أن يدعوا عالماً في العلوم الطبيعية - من غير المسلمين - فإنه لاشك سيخاطبة بإعجاز القرآن العلمي الذي تحدثت عنه آياته ، محاولاً إبراز ذلك وإظهاره لهذا العالم عسى أن يكون في ذلك هدايته ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، فقد يكون هذا العالم من أذكى الناس في مجال تخصصه ، ولكن ربما يكون هذا الذكاء قد ألهى نفسه وقلبه عن ربه وشغله ذلك عن خالقه ، وأصبح لا يرى شفافية نفسه وفهمها لمراد ربها ، بل انحطت إلى الوصف الذي وصفها به ربها وخالقها ، فهو أعلم بالنفس البشرية وما يطرأ عليها ، قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ (١) .

فإن أصر على ضلاله وعناده ومكابرتة معتمداً على حصيلته العلمية الدنيوية ، فإنه يصبح ممن ينطبق عليه قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ بل أدرك علمهم في الآخرة ، بل هم في شك منها ، بل هم عمون ﴾ (٢) . فهم لديهم قصور عن علوم الآخرة ، ومعرفة الله سبحانه وتعالى الحقيقة (٣) . وقد يكون المدعو أديباً رقيق الإحساس متضلعا في علوم الأدب واللغة ، فما على الداعية هنا إلا أن يخاطبه بإعجاز القرآن البياني ، ويحرك مشاعره بعبر القرآن وعظاته ، وترغيبه وترهيبه .

(١) - سورة ق : ١٦

(٢) - سورة النمل : ٦٦

(٣) - انظر أبو الحسن علي الحسني الندوي - تأملات في القرآن الكريم - ص (٦٧)

- الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - دار القلم - دمشق .

وإن كان المدعو من المتجهين إلى العلوم العقلية الجدلية يحسب أن كل شي في هذا الدنيا يمكن أن يحكمه بعقليته المحدودة المقصورة على الجدل ، فما على الداعية إلا أن يخاطبه بآيات الله ، التي تثير في العقل التفكير ، وتدلل على وجود الخالق مما ورد في قصص الأنبياء وغيرها ، وأن يلتمس الداعية أسلوب القرآن في الجدل مع المدعو لما لذلك من قوة في التأثير ، فضلاً عن القوة التأثيرية التي اكتسبها من إيضاحه للإيات التي تجادل في الألوهية أو حسب ما يكون من موضوع الجدل ، فمالا يتم الواجب إلا به فهو واجب فعلى الداعية الإمام بأساليب القرآن المحتوية على التأثير في السامع وماتحويه من علوم في ثناياها . ويمكن الاستفادة كذلك في الدروس التطبيقية التجريبية في المدارس الثانوية أو على المستوى الجامعي أو غيره إذا كان الداعية يقوم بالتجربة أما الدارسين ، ويحيط علماً بالآيات القرآنية التي جاءت بحقائق علمية أثبتتها العلم الحديث فيوضحها للطلاب بأسلوب علمي مستفيداً من أسلوب القرآن في عرض تلك الحقيقة العلمية .

٢ - الإفادة مما اشتمل عليه القرآن من معان محكمة وتقريرات قرآنية وتحديات إعجازه .

٤ - الإفادة من محاولة الاقتداء بمنهج القرآن وأساليبه في التعبير والبيان التربوي والتعليمي وتربية النفس وتبنيه الآخرين عليه ، وإرشادهم إلى أهميته .

﴿ الخاتمة ﴾

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد ضَمَّن بداخله التعاليم والأحكام والتوجيهات التي جاءت في أحسن أسلوب كلام العرب وبلغائهم ، وتنوع هذا الأسلوب تبعاً للموضوع ، فهو أسلوب علمي محكم ذو طابع أدبي في آيات التشريع والأحكام ، وهو أسلوب أدبي رفيع ذو طابع نفسي وجداني وعقلي في آيات الوعظ والإرشاد وفي تذييل الآيات القرآنية ، وهو أسلوب أدبي شيق ذونغمة مثيرة في عرض الحقائق والأحداث والحالات النفسية على شتى أنواعها، وفي عرض القصص وحياة الأمم والأفراد وتاريخها ، فهو يمد العقل خاصة بمعالم الجمال والروعة والأبداع ، ويبصره بأساليب كلام العرب .

فلقد جعل القرآن الإنسان يحيا بين [آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية ، حياة يحكمها نظام واحد ، جعله الله أساس لهداية الناس جماعات وفرادى في كل زمان ومكان ويظهر هذا النظام الواحد لهداية الله تعالى بآياته الكونية ، وآياته القرآنية ، إذا علمنا أن الله جعل قدرة كل إنسان من الناس ، على رؤية أى وجه من وجوه الحقيقة ، قدرة عامة بين كل واحد منهم وهو مرتبط بمجتمعه الإنساني والكوني] ^(١) .

(١) - محمد العفيفي - القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر - ص (١٧٧) - المطبعة العصرية - الكويت .

فالقرآن الكريم " لأحد في الحقيقة يصور إعجازه ومداه ، فقد بلغ موضع
الاقناع من العقل والوجدان من النفس مالم يعرف في تاريخ البشرية كلها
ماقاربه أو شابهه في قوة تأثيره على العقول والقلوب " (١) .

ونلخص من خلال البحث إلى النتائج التالية : -

١ - إن القرآن الكريم يحتوي على مظاهر عديدة تبرز إعجاز تأثيره في
السامعين أبرز هذه المظاهر هي : -

أ - **الإعجاز البياني** : - ولقد أخذ البحث من موضوعات هذا الإعجاز عدد
محدود لايشمل جميع موضوعات الإعجاز البياني . ولكنها توضح إعجاز
التأثيرالقرآني من خلال هذا الإعجاز ، فالتأثير في الاسلوب البشري متفق
عليه فاللفظ الرشيق من كلام البشر يؤثر في القلوب والعقول تأثيراً شديداً ،
وكانه يزيد في حقائق المعاني وأقدرها ، وبمقدار جماله وروعته الفنية تكون
هذه الحائق والأقدار (٢) . فما بالك إن كان اللفظ من كلام رب العباد سبحانه
وتعالى .

هكذا هو القرآن الكريم ، وقد كان ذلك واضحاً من خلال دراسة الإعجاز
التأثيري في القرآن الكريم فهي شاملة في القرآن وهي مؤثرة فالقرآن كله
مؤثر وليس هناك حد لتأثيره .

(١) - أنور الجندي - مدخل إلى القرآن الكريم - ص (١٠٧) - دار الإعتصام القاهرة .

(٢) - شوقي ضيف - في النقد الأدبي - ص (١٦٢) - الطبعة الخامسة - دار المعارف .

ب - **الإعجاز العلمي** : القرآن الكريم مليء بالحقائق العلمية ، لحكمة من الله عز وجل أوجدها في كتابه هداية للعقول البشرية التي لاتؤمن إلا بالامور المحسوسة المشاهدة التي يتم التوصل إليها بالتجربة والبرهان .

ج - **الإعجاز التشريعي** : قد كان يظن البعض أن اسلوب القرآن فيه الجفاف عند الحديث عن التشريع بل كشف البحث عكس ذلك ، فلقد كان التأثير سمة واضحة في هذا الإعجاز .

وأخيراً فإن الباحث يوصي بالأمور التالية :-

١ - إن الموضوع مازال غصاً طري الإهاب يحتاج إلى كثير دُرُسٍ ، ومزيد من العناية والاهتمام فهو لا يفي بحقه كتابة بحث في مدة وجيزة .

٢ - إن الجيل المسلم بحاجة إلى من يعيد دراسة القرآن الكريم ويفسره موضحاً مواطن الجمال ومواقع التأثير دون التركيز على أمر واحد في كتاب الله عزوجل ، وذلك وفق الضوابط الشرعية ولا إخال العلماء ممن لديهم ذوق أدبي ويملكون نفوساً تحترق من أجل هداية البشر إلا أنهم من المسارعين للقيام بهذه الدراسة ، محاولين اجتياز الخطوة ، مستغلين جميع الإمكانيات المتاحة في العصر الحديث .

٣ - على الداعية أن يراعي عند دعوته حال السامع فيختار له مايناسبه من الحديث معه ، ليكون ذلك أبلغ في الهداية وأقوى في التأثير ، وبخاصة من كلام الله عزوجل ، فالقرآن الكريم كله موثر كما سبق أن تم إيضاحه .

٤ - على المؤسسات الدعوية المبادرة إلى طبع كتيبات للدعوة ، يكون كل كتاب عبارة عن شرح وتفسير لبعض الآيات القرآنية ، مع إيضاح لما فيها من إعجاز وهدايات قرآنية ، وتوضيح التأثير في تلك الآيات التي تخاطب شغاف القلب ، وتدخل في أعماق العقل الذي يحاول البحث عن الهداية الربانية ، علّه يجدها على يد من يحب له الخير في ذلك .

وأخيراً فإن مجموع مذكرت في البحث لا يتعدى كونه حديثاً موجزاً عما يحتويه القرآن الكريم .

والله عز وجل أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ، وأن يتقبله مني قبولاً حسناً وأن يختم بالصالحات أعمالي ، فحسبي أنني قد ابتغيت الخير ، ونويت الفائدة وأردت الصلاح .

﴿ وأخبركم عوأننا أن الحمد لله رب العالمين ﴾

البعث .

الفهارس

وتشمل :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام .
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

﴿ فهرس السور والآيات القرآنية ﴾

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .	البقرة	٢ - ٣	١٦٢
﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب آليم ﴾ .		١٠	١٧٢
﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أظاءت ماحوله ذهب الله بنورهم ﴾ .	البقرة	١٧	٦٥
﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾		١٨	٦٣
﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾	البقرة	٢٣	٢١
﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ .		٢٤	٩٤
﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره ﴾ .	البقرة	٥٥ - ٥٦	٨٢
﴿ وإذ قلتم نفساً فأدارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون... ﴾		٧٢ - ٧٣	٨٢
﴿ ثم قست قلوبكم فهي من بعد ذلك فهي كالحجارة ﴾		٧٤ - ٥٧	
﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسول ﴾ .		٨٧	١٧٢
﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقاً لما معهم ﴾ .	البقرة	١٠١	١٧١
﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم ... ﴾		١٠٩	١٦٥
﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني باعثك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهد الظالمين ﴾ .		١٢٤ - ١٢٩	٤٦

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع.....﴾	البقرة	١٧١	١٠٢-٦٥
﴿إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به...﴾		١٧٤	٩٤
﴿ليس البر أن تولو وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ .		١٧٧	١١٦
﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب﴾ .		٢١٣	١١٣
﴿يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع﴾ .		٢١٩	١٢٣
﴿وإذا قال إبراهيم ربي أرني كيف تحي الموتى﴾	البقرة	٢٦٠	٤٨
﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ .	آل عمران	١١-١٠	٥٩
﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ .		١٤	١٦٣
﴿ ألم ترى إلى الذين أتوا نصيباً من الكتابات﴾ .	آل عمران	٢٣	١٦٨
﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها﴾ .		٣٠	٣٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم من نطفه ﴾	آل عمران	٥٩ - ٦٠	٧٤
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا ﴾		١٠٣	٣٧
﴿ وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾		١٢١ - ١٢٣	٩٦
﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ﴾		١٥٢	٩٧
﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا إلى ﴾	آل عمران	١٦٧ - ١٦٨	١٧١
﴿ ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾		١٧٩	٩٧ - ٩٦
﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ... ﴾	النساء	٦١	١٧١
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾	النساء	٤٣	١٢٤
﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾	النساء	٥٦	١٤٩
﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كلهم من عند غير الله ﴾	النساء	٨٢	١٦٢
﴿ قل متاع الدنيا قليل ، والأخرة خير لمن آتقى ﴾		٧٧	٩٢
﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً ﴾	المائدة	١٥ - ١٦	١٥٨
﴿ لتجدن أشد الناس عدوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة ﴾	سورة المائدة	٨٢ - ٨٣	٢٧
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾		٩٠ - ٩١	١٢٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مما يلبسون ﴾	الأنعام	٩	٨١
﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾	الأنعام	٣٨	١٥٦-١٥٤-١٢٢
﴿ انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ﴾		٤٦	٢٩
﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ﴾		٦٠	٨٦
﴿ و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾	الأنعام	٧٤-٨٠	٤٧
﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ... ﴾		١٠٢	١١٢
﴿ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ... ﴾		١٠٥	١١٢-٢٩
﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ﴾		٩٥-١٠٠	١١٣
﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾		١٢٤	٧٩
﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾		١٢٥	٦٦
﴿ ثمانية أزواج من الضأن إثنين ومن المعز اثنين قل الذكركن حرم أم الانثيين ﴾	الأنعام	١٤٣-١٤٤	٧٣
﴿ قل تعالوا أتلوا ما حرم ربكم ألا تشكوا به شيئاً ﴾	الأنعام	١٥١-١٥٣	١٢١
﴿ كما بدأكم تعودون ﴾	سورة الأعراف	٢٩	٦٧

الآية .	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ .	الأعراف	٣٢	٩٢
﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾ .	الأعراف	٦٠	٨٠-٨١
﴿ يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ﴾ .	الأعراف	٦١ - ٦٢	٨٠-٨١
﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾ .	الأعراف	٦٣	٨١
﴿ قالوا أجتئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا ﴾ .	الأعراف	٧٠	١٠٧
﴿ أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ﴾ .	الأعراف	٧١	١٠٧
﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقكم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ... ﴾ .	الأعراف	١٧١	٥٨
﴿ فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ﴾ .	الأعراف	١٧٦	٦٢
﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ﴾ .	الأعراف	١٧٩	٦٦
﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء ﴾ .	الأعراف	١٨٥	١٣١
﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .	الأعراف	١٩٩	١٢٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلب قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ .	الأنفال	٢	٢٧-٣
﴿ وإذا يكر بك الذين كفروا ليثبتنوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ .		٣٠	١٠٨
﴿ وأن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع ﴾ .	التوبة	٦	١٥٧
﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .	التوبة	٥١	٩٣
﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليا بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .		٧١	١١٧
﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴾ .	التوبة	٥٨	١٧٣
﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذي اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ .		١١٧-١١٩	
﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته ﴾ .	التوبة	١٢٤-١٢٥	١٧٢
﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ﴾ .	يونس	٢٢	٤٢
﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم ... ﴾	يونس	٣٨	٢٠
﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمة ولما يأتهم تأويله ... ﴾	يونس	٣٩	٦٤
﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾	هود	٦	١٤٧
﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور من مثله مفتريات ... ﴾	هود	١٣	٢١
﴿ قالوا يانوح قد جادلنا فأكثر جدالنا ﴾ .	هود	٣٢	٧٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ .	هود	٤٢	٦٤
﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ .	هود	٥٠	١٠٥-١٠٦
﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ .	هود	٥١	١٠٦
﴿ قالوا يا هود ماجئتنا ببينة وما نحن ... ﴾	هود	٥٣	١٠٦-١٠٧
﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة ﴾ .	هود	١٢٠	٥٠
﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ .	يوسف	١١١	٤٥
﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ﴾ .	الرعد	١١	١٦١
﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ .	الرعد	٢٧	١٦١
﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات ... ﴾ .	إبراهيم	٢-١	١٥٧
﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾	إبراهيم	٤	٨٧
﴿ مثل الذين كفوا بربهم أعمالهم كرماد يشتدت به الرياح ... ﴾		١٨	١٤٠
﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾	الحجر	٩	٢
﴿ نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وزن عذابي هو العذاب أليم ﴾		٤٩	٥٠
﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم ﴾	النحل	١٢٢	١٦٦
﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ .	النحل	٣٨-٣٩	٨٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وإن لكم في الإنعام لعلبة نسقيكم مما في بطونها ﴾	النحل	٦٦	١٢٥
﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا ... ﴾	النحل	٦٧	١٢٤
﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾	الإسراء	٩	١٨٩
﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعذروا وما يزيدهم إلا نفورا... ﴾	سورة الإسراء	٤١	٣٠ - ٤
﴿ ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ... ﴾	الإسراء	٣٦	١٦٤
﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾	الإسراء	٦٢-٦١	١٥٩
﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا الى ذي العرش سبيلا ﴾	الإسراء	٤٢	٧٨
﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو على أدبارهم نفورا.... ﴾		٤٦	٣٠
﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾		٨٩	٣٠
﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾	الإسراء	٨٣	١٦٨
﴿ وقالوا إذا كنا عظاما أوفياتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا .. ﴾		٩٨-٩٩	٨٤
﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾	الكهف	٤٦	٩٢
﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ... ﴾			
﴿ قل لئن اجتمعت الإنس وajan على أن يأتوا بمثل هذا ﴾		٨٨	٢١
﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم ﴾		١٠٧-١٠٩	٢٧
﴿ ما أشهدتهم خلق المسوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾	الكهف	٥١	١٣٤
﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدينا كما أنزلناه من السماء باختلط به نبات الأرض الأرض ﴾	الكهف	٤٥	١٠٥
﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شى جدلا ﴾	الكهف	٥٤	٧٠

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ .	سورة مريم	٤	٣٦
﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .	مريم	٤٣	٩٣
﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ .	طه	٥٠	١٥٤
﴿ يومئذ يتبعون الداعي لأعوج له وخشعت الأصوات ﴾ .	طه	١٠٨	١٣٩
﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد ﴾	سورة طه	١١٣	٢٩
﴿ لو كان فيهما آله إلا الله لفسدنا ﴾	الانبياء	٢٢	٧٥
﴿ أولم ير الذين كفوا أن السموات والأرض كانتا رتقا ... ﴾ .		٣٠	٣٤
﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ .	الأنبياء	٥١ - ٧٠	٤٨
﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إن كنا فاعلين ﴾ .	الأنبياء	١٠٤	١٤٠ - ١٣٩
﴿ ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ... ﴾ .	الأنبياء	٩٢	١١٦
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ... ﴾	الحج	٢-١	٤١
﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفه ﴾ .		٥ - ٧	٨٣ - ١٢٨
﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .	الحج	٣١	٣٨
﴿ فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ﴾ .		١٩ - ٢٢	٩٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾	المؤمنون	١٢	١٢٨-١٢٩
﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾		١٤	١٢٩
﴿إن هو إلا رجل به جنة		٢٥	٧٦
﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا	المؤمنون	٤٥-٤٨	١٦٤
﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون	المؤمنون	١١٥-١١٦	٨٦-١١٤
﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها	النور	٣٠-٣١	١١٨
﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ..	النور	٣٩	٥٨
﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج ...﴾	النور	٤٠	١٥٢
﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ...﴾	الفرقان	٢٣	٣٧
﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل﴾	الفرقان	٢٥	١٤٤-١٣٨
﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح﴾	الفرقان	٥٣	٤٤
﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ...﴾		٦٣-٦٧	١٢٢
﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ..	الشعراء	٢٢٤-٢٢٧	٨٩
﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً	النمل	٦١	١٤٢
﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾	النمل	٦٦	١٨١
﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً	العنكبوت	٤١	٧٩-٦٣
﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة﴾	الروم	٧	١٦٦

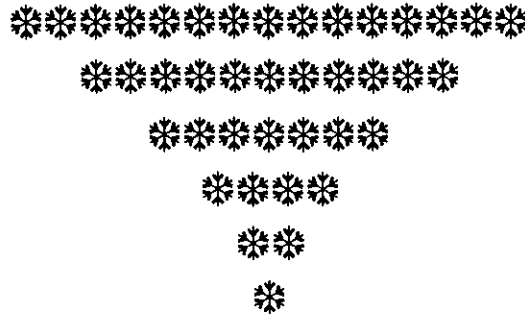
الآية	أسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك	لقمان	١٣ - ١٩	١٢١
﴿ اذا غشيهم موج كالظلل يدعو الله مخلصين له الدين ... ﴾	لقمان	٣٢	٦٤
﴿ والذين سعوا في آياتنا معاجزين ﴾	سبا	٥	١٨
﴿ إنما تنذر من أتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب ... ﴾ .	يس	١١	١٦٢
﴿ والقمر قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم ﴾ .	يس	٣٩	٥٥
﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ﴾ .	يس	٥١ - ٧٠	١٤٧
﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً ﴾ .	يس	٧١	١٤٧
﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه - قال من يحيي العظام ... ﴾		٧٨ - ٧٩	٨٣-٧٦
﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه ... ﴾ .		٧٩	٨٧
﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على ﴾		٨١	٨٧-٨٤
﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾	الصفات	٦٥	٥٩
﴿ فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... ﴾ .	الزمر	١٨	١٦١
﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ .	الزمر	٢٣	٢١-٢٦-٩٠
﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها - والتي لم تمت في منامها .. ﴾		٤٢	٨٦
﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾	غافر	٥	٧١
﴿ قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً - ذلك رب العالمين ﴾	فصلت	٩ - ١٢	١٣٣
﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ﴾		١١	١٣٦
﴿ وقال للذين كفروا لاسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ .	فصلت	٢٦	٢٨
﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون ﴾	فصلت	٤٤	١٦٧
﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء .. ﴾		٣٩	٨٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوح والذي أوحينا ... ﴾ .	الشوري	١٣	١٦١
﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ .	الشورى	١٥	١١٦
﴿ والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش وإذا ماعضبوا ﴾		٣٧ - ٣٩	١١٦
﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال ... ﴾ .	الزخرف	٢٣	١٦٨
﴿ يوم تأتي السماء بدخان مبين ... ﴾ .	الدخان	١٠	١٣٨
﴿ افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ .	محمد	٢٤	١٦٢
﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات الضائين بالله ضن السوء ... ﴾ .	الفتح	٦	١٧٢
﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾ .	الجاثية	٧ - ٨	٦٥
﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا ﴾		٢٤ - ٢٨	٧٧
﴿ فله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ﴾ .		٣٦ - ٣٧	٧٨
﴿ وإنشقت السماء فهي يومئذ واهية ... ﴾ .	الأحقاف	٣	١٣٨
﴿ افلم ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾ .	سورة ق	٦	١٣١
﴿ أفعينا بالخلق الأول ﴾ .		١٥	٧٦
﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن ... ﴾ .	ق	١٦	١٥٧ - ١٧٩
﴿ ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد	ق	٢٩	١٦٠
﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾	ق	٤٥	١١٣
﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ .	الذاريات	٢٢	٩٣
﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ .	الذاريات	٤٧	١٣٦
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .		٥٦	
﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ... ﴾ .	الطور	٣٥ - ٣٦	١٢٣
﴿ وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء علي أمر قد قدر ... ﴾	القمر	١٢	٣٨

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾	الرحمن	١٤	١٢٨
﴿ ومرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾	الرحمن	١٩	١٤٤
﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾	الرحمن	٢٤	١٤٢
﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ... ﴾	الرحمن	٢٧-٢٧	١٣٩
﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾		٥٨	٦١
﴿ على سرر موضونة - متكئين عليها متقابلين ﴾	الواقعة	٢٤-١٥	٩٢
﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾		٢٦-٢٥	٩٢
﴿ ثم أنكم أيها الضالون المكذبون لأكلون من شجر من زقوم ... ﴾	الواقعة	٥٦-٥١	٦١
﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴾		٦٠	٨٥
﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ... ﴾	الحديد	٣	١١٢
﴿ وهو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم ﴾	الحديد	٩	١٥٧
﴿ سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء ... ﴾		٢١	٥٩
﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ﴾	المجادلة	٢٢	١١٥
﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ﴾	الحشر	٢١	٢٦
﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان ﴾	الصف	٤	٦٠
﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ﴾	الجمعة	٥	٥٧

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ انا نحن نحيي ونميت والينا المصير ﴾ .	المنافقون	١١	٩٣
﴿ اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ﴾ .	الملك	٨-٧	١١
﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين -مالكم كيف تحكمون ... ﴾ .	القلم	٣٦-٣٥	١١٤
﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ .	الحاقة	١٦	١٣٨
﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا ﴾ .	الجن	٢-١	٢٨
﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ .	المزمل	١٤	١٤٠
﴿ كأنهم حمر مستنفرة - فرت من قسورة ﴾ .	المدثر	٥١-٥٠	٦١
﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ .	القيامة	٣٦	٨٦
﴿ فإذا النجوم طمست ... ﴾	المرسلات	٨	١٥١
﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ﴾ .	المرسلات	٣٣-٣٢	٥٦
﴿ أنأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ... ﴾	النازعات	٣٠-٢٧	١٣٤
﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ .	عبس	٣٧-٣٤	٩٤
﴿ إذا الشمس كورت وإذا النجوم إنكدرت وإذا الجبال ... ﴾ .	التكوير	٧-١	١٥٠-١٤٠
﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ .	التكوير	١١	١٣٨
﴿ والصبح اذا تنفس ﴾ .	التكوير	١٨	٣٦
﴿ إذا السماء إنفطرت وإذا الكواكب إنتثرت وإذا البحار .. ﴾	الانفطار	٤-١	١٥١-١٥٠-١٣٨
(يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ...)	الانفطار	٦	١٤٨
﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ... ﴾ .	الانفطار	١٩	٩٤
﴿ إذا السماء إنشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض ... ﴾ .	الإنشقاق	٥-١	١٥٠-١٣٨
﴿ فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق يخرج ... ﴾ .	الطارق	٧-٥	
﴿ الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ﴾	الأعلى	٣-٢	١٥٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ...﴾	البلد	٨ - ١٠	٧٤
﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ .	القارعة	٥	٦٤
﴿نار الله المؤقدة التي تطلع على الأفئدة ...﴾	الهمزة	٦-٧	٩٤
﴿قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾	الإخلاص	١-٣	١١٢



فهرس الأحاديث النبوية

﴿ فهرس الأحاديث ﴾

رقم الصفحة	الحديث
١٢٥	- قال: إتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً وأن تلقى أخاك بوجه مبسط
٣١	- قال : " إقرأ عليّ ، قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل "
١٣٤	- قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : - " إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي "
٣١	" سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية "
١٢٥	- " كنت ساقى القوم في منزل ابي طلحة منزل تحريم الخمر "
٥٤	" الكمأة جذري الأرض "
١٩	" مامن نبي إلا أعطي مامثله آمن عليه البشر "
٥٤	- قال " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "

فهرس الأعلام

﴿ فهرس الأعلام ﴾

رقم الصفحة	اسم العلم
١٨	إبراهيم انيس
٥٣	ابن ابي الاصبع
٥٤	أبو حمده محمد علي
١٩	ابن خلدون
٦٩	ابن سينا
٨٣-٥٦	ابن كثير
٦٨	ابن فارس
٧٢	ابن الانباري
٣١	ابن مسعود بن عبدالله
٦٨-١٨	ابن منظور
٩٨-٦٠	ابن القيم
٧٦-٧٥-٥٣-٤٥	أبو زهره محمد
٦٩	أبو البقاء
٨٤	أبي بن خلف
٩٩	أميه : هلال .
١٥٩	إسماعيل : محمد بكر
١٢	باحاذق عمر محمد
٣١-١٩	البخاري ابو عبدالله محمد بن اسماعيل
٤٤-٩-٢	الباقلاني

اسم العلم	رقم الصفحة
البزار	١٢٥
البوطي محمد سعيد .	١٣.
البيانوني : محمد ابو الفتح .	١٧٧
الترمذي	٥٤
التومي : محمد	٨٨ - ٦٩
جبير بن مطعم	١٢٤-٣١
الجرجاني : عبدالقاهر .	٦٩
الجندي : أنور	١٨٢-١٥٩
الجيوشي : محمد إبراهيم	١٥٦-١٥٣
جلبي : خالص	١٣.
حنفي : احمد	١٣٧-١٣٢
حسين : عبدالقادر	٦٢-٦١-٦٠-٥٨-٥٦
حيدر : عماد الدين احمد .	٨-٢
الحالدي : صلاح	٤٢-٤١
الخطابي : ابو سلميان حمد	٢٣-٨-٣
الخطيب : عبدالكريم .	١٤٥
خضر : عبدالعليم	١٣٧
خلف الله : محمد أحمد	٣
دراز : محمد عبدالله	٩.-٩
ذو الاصبع : العدواني	١٠٣

رقم الصفحة	أسم العلم
٩٩	الربيع : مرارة .
٥٣-٧	الرماني : ابو الحسن علي بن عيسى
٤٥-١٩-٩-٧	الرافعي : مصطفى صادق .
١٠٠-٩٩-٢٨-٢٧	الرافعي : محمد نسيب
٢٤-٢٣-١٩-١١	الزرقاني : عبدالعظيم .
٨٨-٥٨-٥٧	الزركشي
٦٨	الزمخشري
٦٦	الزنداني : عبدالمجيد
١٥٩	سبع : توفيق محمد .
٥٢	السكاكي : ابو يعقوب يوسف
٧٣-٥٨-٥٧-٥٣-١٩-١٣	السيوطي .
١٠٧-١٠١-٣٠-٢٩-٢٨-٢٦	السعدي : عبدالرحمن
٧٤-٢٥	سلامة : محمد علي
١١٩-١١٧	السلامي : عمر .
٣	سلام : محمد زغلول .
٧٠	الشاذلي : عبدالله يوسف
١٠٤-٥٣	شرف : حفني محمد
٦٦-٦٤	شيخ أمين : بكري
٧٨	الشهرستاني
٧٢	الشوكاني

رقم الصفحة	أسم العلم
٨٧	الصنعاني محمد ابراهيم
١٣٠	الصرايره : محمد
١٤٢	الاصفهاني : الراغب .
٢٥	الصواف : محمد محمود .
١٨٢	ضيف : شوقي .
١٦٠	عبدريه : نبيه زكريا
٦٧-٦٤-٦٣-٢٠	عتر : حسن ضياء الدين .
١٥-٣	العسقلاني : ابن حجر
٨٤	عكرمة .
٦٧	العفيفي : محمد .
٩٥-٩٣-٩١	العمرى : احمد جمال .
٨٧	عياض : القاضي
١٤٨-١٤٧	الغزالي : أبو حامد
٦٨-٥٠	الفيروزيادي
٤٥	فريد : فتحي عبدالقادر
٦	القاري : الملا علي
٨٤	قتادة
١٢٦-١٢٥	القرطبي .
٤٣-٤٢-٤١-٤٠-٣٩-٣٨-٣٧-٣٦-٢٢-١١-١٠	قطب : سيد

رقم الصفحة	أسم العلم
١٩-٣	القشيري : ابو الحسين مسلم بن الحجاج
٩٨	مالك : كعب
٥٤	المبكار كفوري
٢٥-٧٠-٧١-٧٣-٧٥-٧٦-٧٧-	الالمعي : زاهر عواض
٩٠-٨٦-٨٥-٨٤-٨١-٧٩-٧٨	
٨٩-٨٣-٨١	المجذوب : محمد
٢٠	مسلم : مصطفى .
٥١-٤٣	مصطفى : محمد السيد حسن
٢٠	الندوي : ابو الحسن .
١٥٤	هارون : نبيل عبدالسلام .

فهرس المصادر و المراجع

أولاً : -

المصادر :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الجامع الصحيح - الإمام البخاري - طبعة استنبول .
- ٣ - الجامع الصحيح - الإمام مسلم - دار الفكر .
- ٤ - الجامع الصحيح - الإمام الترمذي - دار الفكر .
- ٥ - العسقلاني - ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت
- ٦ - ابن كثير - اسماعيل - تفسير القرآن العظيم - الطبعة الأولى - ١٤٠٨
- ١٩٨٨ - دار الحديث - القاهرة .
- ٧ - القرطبي ابو عبدالله محمد الانصاري - الجامع لأحكام القرآن - دار احياء التراث ، بيروت

ثانياً : - المراجع :

أ - في اللغة :

- ١ - ابن منظور - لسان العرب .

٢ - إبراهيم أنيس وآخرون - جمع وترتيب - المعجم الوسيط .

٣ - ابن فارس - مقاييس اللغة .

٤ - الراغب الاصفهاني - المفردات - مكتبة الانجلو المصرية .

٥ - الفيروزبادي - القاموس المحيط .

ب - في البلاغة :

١ - ابو يعقوب محمد السكاكي - مفتاح العلوم - الطبعة الاولى - ١٤٠٣هـ - دار

الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢ - القزويني - تلخيص المفتاح - الطبعة الأخيرة - ١٣٨٥هـ - البابي - القاهرة .

٣ - ابن ابي الاصبع - بديع القرآن - نهضة مصر .

٤ - الزمخشري - جارالله محمود عمر - أساس البلاغة - ١٣٩٩هـ - دار صادر - بيروت

٥ - حسين : عبدالقادر - القرآن والصورة البيانية - الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ - عالم

الكتب - بيروت - لبنان .

ج - الإعجاز القرآني وعلوم القرآن :-

- ١ - إبراهيم : محمد إسماعيل - القرآن وإعجازة العلمي - طبعة بدون - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٢ - ابن سعدي - تفسير الكريم الرحمن - الطبعة الرابعة - ١٤٠٨هـ - دار المدني - جدة .
- ٣ - ابن سعدي - تفسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - الطبعة الثانية - ١٤٠٩هـ المطابع الوطنية - عنيزة .
- ٣ - ابو زهرة : محمد - المعجزة الكبرى - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٤ - ابن القيم - زاد المعاد في هدي خير العباد - الطبعة السادسة والعشرون - ١٤١٢هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ابن القيم - مفتاح دار السعادة - الطبعة الثالثة - ١٣٩٩ هـ - مكتبة حميدو - الإسكندرية .
- ابن القيم - الفوائد المشوق الى علوم القرآن - الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٥ - ابن خلدون - المقدمة - الطبعة الرابعة - ١٩٨١م - دار القلم - بيروت .

٦ - ابن كثير - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى عبدالواحد - دار المعرفة - بيروت .

٧ - إسماعيل : محمد بكر - دراسات في علوم القرآن - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ -

دار المنار - القاهرة .

٨ - ابن أبي الاصبغ - يدبع القرآن - نهضة مصر .

٩ - باحاذق : عمر محمد عمر - اسلوب القرآن بن الهداية والإعجاز الساني - رسالة دكتوراه -

لم تطبع بعد - الجامعة الإسلامية - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .

١٠ - البهي : محمد - القرآن الكريم يقول - الطبعة الاولى - ١٣٩٩ هـ -

مكتبة وهبه - القاهرة .

١١ - البوطي : محمد سعيد - منهج الحضارة الإسلامية في القرآن الكريم - الطبعة الأولى

- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - دار الفكر - دمشق .

١٢ - البيانوني : محمد ابو الفتح - المدخل الى علم الدعوة - الطبعة الأولى -

١٤١٢ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

١٣ - التومي : محمد - الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية -

١٤٠٠ هـ - الشركة التونسية - تونس .

- ١٤ - جلبي : خالص - الطب محراب الايمان - الطبعة السابعة - ١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .
- ١٥ - الجيوشي : محمد إبراهيم - دراسات قرآنية - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ١٦ - حوى : سعيد - الرسول ﷺ - الطبعة الثالثة - ١٩٧٤م - بيروت - دارالكتب العلمية
- ١٧ - الخالدي : صلاح عبدالفتاح - نظرية التصوير الفني لدى سيد قطب - الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ - دار الفرقان - عمان - الاردن .
- ١٨ - الخطيب : عبدالكريم - إعجاز القرآن - ١٩٦٤م - دار الفكر - القاهرة .
- ١٩ - خضر : عبدالعليم - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ - الدار السعودية للنشر - جدة .
- ٢٠ - الدباغ - مصطفى : وجوه من الإعجاز القرآني - الطبعة الأولى - ١٩٨٢م - مكتبة المنار - الزرقاء - الاردن .
- ٢١ - دراز : محمد عبدالله - النبا العظيم - الطبعة السادسة - ١٤٠٥هـ - دارالقلم الكويت
- ٢٢ - الرماني - الخطابي - الجورجاني - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف أحمد ، د . محمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف - مصر .

٢٣ - الرفاعي : مصطفى صادق - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - الطبعة التاسعة -

١٣٩٣هـ - دار الكتاب العربي . بيروت لبنان .

٢٣- الرفاعي : محمد نسيب - مختصر تفسير ابن كثير - طبعة ١٤١٠هـ - مكتبة

المعارف - الرياض .

٢٤ - الزركشي : بدر الدين محمد - البرهان في علوم القرآن - الطبعة الاولى -

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .

٢٥ - الزرقاني : محمد عبدالعظيم - مناهل العرفان - دار إحياء الكتب - مكة المكرمة

٢٦ - الزندانى : عبدالمجيد - توحيد الخالق - الطبعة الثانية - ١٤٠٩هـ - مكتبة طيبة

المدينة المنورة .

٢٧ - زيدان : عبدالكريم - أصول الدعوة - الطبعة الثانية - ١٤٠٧هـ - مؤسسة

الرسالة - بيروت .

٢٨ - السبع : توفيق محمد - واقعة المنهج القرآني - الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ -

دار المختار للنشر - الرياض .

٢٩ - السلامي : عمر - الإعجاز الفني في القرآن الكريم - الطبعة بدون - التاريخ

بدون . مؤسسات عبدالكريم - تونس .

٣٠ - السيوطي : جلال الدين - الاتقان في علوم القرآن ، وبهامشه - إعجاز القرآن

للباقلاني - عالم الكتب - بيروت .

السيوطي : جلال الدين - معترك الأقران في إعجاز القرآن - الطبعة الأولى -

١٤٠٨هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .

السيوطي : جلال الدين - التحجير في علم التفسير - الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ - دار

العلوم للطباعة والنشر - الرياض .

٣١ - الشاذلي : عبدالله يوسف - مدخل إلى الاستدلال .

٣٢ - شرف : حنفي محمد - التصوير الساني - الطبعة الثانية - مكتبة الشباب - المنيرة .

٣٣ - الشهرستاني : ابو الفتح محمد عبدالكريم - الملل والنحل - تحقيق محمد سيد

كيلاني - دار المعرفة - بيروت .

٣٤ - الشوكاني : - إرشاد الفحول .

٣٥ - الصرايرة : محمد - آيات للموقنين - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - مكتبة المنار - الاردن .

- ٣٦ - صروف : يعقوب - لغات علمية - الدار السعودية .
- ٣٧ - الصواف : محمد محمود - القرآن آثاره وانواره - الطبعة الثانية - دار العمير - جدة .
- ٣٨ - ضيف : شوقي - في النقد الأدبي - الطبعة الخامسة - دار المعارف .
- ٣٩ - عبدالربه : نبيه زكريا - كيف نحيا بالقرآن - الطبعة الاولى ١٤٠٣ - دار الحرمين - الدوحة - قطر .
- ٤٠ - عتر : حسن ضياء الدين - المعجزة الخالدة - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ - مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة .
- ٤١ - العفيفي : محمد - القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر - المطبعة العصرية - الكويت .
- ٤٢ - العمري : احمد جمال - مباحث في إعجاز القرآن - مكتبة الشباب - القاهرة .
- ٤٣ - فريد : فتحي عبدالقادر - بلاغه القرآن في أدب الرافعي - دار المنار القاهرة .
- ٤٤ - القارئ : الملا علي - شرح الشفا للقاضي عياض - دار الكتب العربية - بيروت .
- ٤٥ - القاسم : محمد زكي الدين - هذا القرآن فأين منه المسلمون - الطبعة الاولى - ١٤٠٨ هـ - دار البحوث العلمية - الكويت .

٤٦ - قطب : سيد - التصوير الفني في القرآن الكريم - دار الشروق - بيروت .

- قطب : سيد - في ظلال القرآن - الطبعة الحادية عشر - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

- دار الشروق - بيروت .

٤٧ - الالمعي : زاهر عواض - مناهج الجدل في القرآن الكريم - الطبعة الثانية -

١٤٠٠ هـ - مطابع الفرزدق - الرياض .

٤٨ - المجذوب : محمد - نظرات تحليلية في القصة القرآنية - مؤسسة الرسالة - بيروت

٤٩ - مسلم : مصطفى - مباحث في إعجاز القرآن - الطبعة الأولى - دار المنارة - جدة

٥٠ - مصطفى : محمد السيد - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية .

٥١ - الندوي : ابو الحسن علي - تأملات في القرآن الكريم - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ

- دار القلم دمشق .

- الندوي - المدخل إلى الدراسات القرآنية - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م -

دار الصحوة للنشر - القاهرة .

٥١ - هارون : نبيل عبدالسلام - كشاف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكتبة

ابن سينا - القاهرة .

فهرس موضوعات البحث

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة .
٤	وتشمل : أهمية الموضوع وسبب اختياره .
٥	سبب اختيار البحث .
٥	تحديد المشكلة وحدود الدراسة .
٦	منهج البحث .
٧	الدراسات السابقة .
٧	أولاً الدراسات القديمة :-
٨	١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
٨	٢ - النكت في إعجاز القرآن .
٨	٣ - البيان في إعجاز القرآن .
٩	٤ - إعجاز القرآن .
١٠	ثانياً الدراسات الحديثة : -
١٠	١ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .
١٠	٢ - النبأ العظيم .
١١	٣ - سيد قطب ورأيه في الإعجاز .
١٢	٤ - مناهل العرفان .
١٣	٥ - أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز .

الموضوع	رقم الصفحة
قائمة موضوعات البحث : -	١٥
الفصل الأول : الإعجاز التأثيري ومظاهره في القرآن .	١٧
المبحث الأول : تعريف المعجزة .	١٨
أنواع المعجزات .	١٩
شروط المعجزة .	٢٠
المبحث الثاني : تعريف الإعجاز التأثيري .	٢٤
المبحث الثالث : النصوص الدالة على تأثير القرآن الكريم في النفوس من الكتاب والسنة .	٢٦
أولاً : من القرآن الكريم .	٢٦
ثانياً : من السنة .	٣١
المبحث الرابع : مظاهر الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم	٣٢
الفصل الثاني : - الإعجاز البياني في القرآن الكريم .	٣٥
المبحث الأول : التصوير الفني في القرآن .	٣٦
١ - التخيل الحسي :	٣٧
أ - التخيل بالتشخيص .	٣٧
ب - تخيل بتوقع الحركة التالية .	٣٨
ج - حركة متخيلة ينشئها التعبير .	٣٨

الموضوع	رقم الصفحة
د - حركات سريعة متخيلة .	٣٩
هـ - حركة الساكن .	٣٩
٢ - التجسيم .	٤٠
٣ - التناسق الفني .	٤٠
٤ - الحياة الشاخصة .	٤١
٥ - الحركة المتجددة .	٤٢
المبحث الثاني : القصص في القرآن الكريم	٤٥
- مثال للقصة في القرآن الكريم .	٤٧
- أغراض القصة في القرآن الكريم .	٥٠
- التأثير في القصص القرآني .	٥٢
المبحث الثالث : التشبيه .	٥٣
- أطراف التشبيه :	٥٥
١ - تشبيه المحسوس بالمحسوس .	٥٥
٢ - تشبيه معقول بمعقول .	٥٦
٣ - تشبيه المعقول بالمحسوس .	٥٧
٤ - تشبيه المحسوس بالمعقول .	٥٨
التشبيه التمثيلي .	٦٠
أغراض التشبيه .	٦١

رقم الصفحة	الموضوع
٦٣	خصائص التشبيه .
٦٥	هدف التشبيه .
٦٨	المبحث الرابع : - الجدل في القرآن الكريم .
٦٨	تعريفه :
٦٨	في اللغة .
٦٩	في الاصطلاح .
٧٢	١ - السبر والتقسيم .
٧٤	٢ - الاستفهام التقريري .
٧٤	٣ - الأقيسة الاضمارية .
٧٥	أ - قياس الخلف .
٧٦	ب - قياس التمثيل .
٧٦	موضوعات الجدل : -
٧٧	١ - الجدل في إثبات وجود الله .
٧٨	٢ - الجدل لإثبات وحدانية الله .
٧٩	٣ - الجدل حول إثبات الرسالات .
٨٢	٤ - الجدل حول البعث والجزاء .
٨٧	إعجاز الجدل
٨٩	التأثير في جدل القرآن الكريم .

رقم الصفحة	الموضوع
٩١	المبحث الخامس : - الترهيب والترغيب .
٩٦	المبحث السادس : - العبرة والعظة فيما حدث للمسلمين من أحداث في عهد الرسول ﷺ .
٩٩	- حديث الثلاثة الذين خلفوا .
١٠٣	المبحث السابع : - أمثلة تطبيقية لكل ماسبق على عدد من الآيات .
١٠٣	١ - في التشبيه والتصوير .
١٠٥	٢ - أمثلة الترغيب والترهيب .
١٠٥	٣ - القصص القرآني وجدل القرآن .
١١٠	الفصل الثالث : - الإعجاز التشريعي .
١١١	المبحث الأول : - في العقيدة .
١١٥	المبحث الثاني : - في الشريعة .
١٢٠	المبحث الثالث : - في الاخلاق .
١٢٣	المبحث الرابع : - أمثلة تطبيقية لما سبق .
١٢٣	أولاً : - في العقيدة .
١٢٤	ثانياً : - في الشريعة .
١٢٥	ثالثاً : - في الاخلاق .

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٧	الفصل الرابع : الإعجاز العلمي :
١٢٨	المبحث الأول : - خلق الإنسان .
	المبحث الثاني : - بدء الكون - سعة الكون -
١٣١	- مصير الكون .
١٣١	أولاً : بدء الكون .
١٣٦	ثانياً : سعة الكون
١٣٧	ثالثاً : مصير الكون
١٤٢	المبحث الثالث : - البحار
١٤٥	المبحث الرابع : - الحيوان .
١٤٩	المبحث الخامس : - أمثلة تطبيقية لكل ماسبق .
١٤٩	أولاً : في خلق الإنسان .
١٥٠	ثانياً : في الكون .
١٥٢	ثالثاً : في البحار .
١٥٤	رابعاً : في الحيوان .
١٥٥	الفصل الخامس : - أسباب التأثير في القرآن الكريم :
١٥٦	المبحث الأول : - أسباب تعود إلى القرآن الكريم .
١٦١	المبحث الثاني : - أسباب تعود إلى القارئ والمستمع .
١٦٧	المبحث الثالث : - أسباب عدم إستجابة بعض المدعوين .
١٦٧	أولاً : كفار قريش .

رقم الصفحة	الموضوع
١٦٩	ثانياً : اليهود .
١٧١	ثالثاً : المنافقون .
١٧٣	الفصل السادس : - أهمية الإعجاز التأثيري للدعوة :
١٧٤	المبحث الأول : - أهميته للدعوة .
١٧٨	المبحث الثاني : - كيفية الاستفادة منه .
١٨١	الخاتمة : " وتتضمن النتائج والتوصيات " .
١٨٥	الفهارس : وتشمل : -
١٨٦	أ - فهرس الآيات .
٢٠٣-٢٠٢	ب - فهرس الأحاديث .
٢٠٤	ج - فهرس الأعلام .
٢٠٩	د - قائمة المصادر والمراجع .
٢١٩	هـ - فهرس الموضوعات .
